قصّة
عبدالله فيلبي

من وثائق المخابرات البريطانية
1929 - 1948

نقلها إلى العربية:

حسن ساتي

Jadawel جداول

الكتاب

أفرج مكتب السجلات العامة والأرشيف القومي ببريطانيا صباح الخميس 28 نوفمبر/تشرين الثاني 2002، ولأول مرة عن 311 ملفًا عن العملاء والنشاط الاستخباراتي، كان مقررًا الإفراج عنها عام 2005. بين تلك الملفات، ملفان بالرقمين KV/2/1118 وKV/2/1119 عن هاري سانت جون بروجر فيلبي، الذي أصبح الحاج عبد الله فيلبي بعد اعتناقه الإسلام، وفي الملفين 236 وثيقة، يقود مجمل قراءتها إلى الوقوف أمام شخصية خلافية ودرامية في الوقت ذاته.

نقطع بأن التنقل بين أوراق المخابرات البريطانية حول فيلبي، يقترب من الجلوس إلى فيلم سينمائي عالي الجودة.. مثلما نقطع بصعوبة عرض جميع هذه الوثائق انطلاقًا من صعوبة اتخاذ منهج يعتمد على التاريخ فقط في عرضها.

ولذلك اتخذت هذا المنهج الذي يتنقل، كما طريقة الدراما السينمائية أو التلفزيونية، بحرية تحاول إيجاد الرباط، ما أمكن، مع الاحتفاظ بخيط يربط بينها جميعًا، علّ ذلك يفتح العدسة على أغوار شخصية بالغة التعقيد، دعك عن إسهامها الفاعل في حركة تاريخ الدول العربية بالشرق الأوسط في زمن كانت فيه تلك الدول تقاوم استعمار دولة فيلبي، أي بريطانيا العظمى.

حسن ساتي

قصَّة
عبدالله فيلبي

قصَّة
عبدالله فيلبي

من وثائق المخابرات البريطانية
1929 - 1948

نقلها إلى العربية:

حسن ساتي

Jadawel جداول

الكتاب: **قصة عبدالله فيلبي**

نقلها إلى العربية: **حسن ساتي**

جداول

للنشر والترجمة والتوزيع

رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول

هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637

ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان

e-mail: d.jadawel@gmail.com

www.jadawel.net

الطبعة الأولى

كانون الثاني/ يناير 2014

ISBN 978-614-418-219-2

طبع في لبنان

Copyright © Jadawel S.A.R.L.

Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.

P.O.Box: 5558-13 Shouran

Beirut - Lebanon

First Published 2014 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

فيلبي الظاهرة 9

الفصل الأول

إنكليزي قادته روح المغامرة إلى جدة 15
مقدمة: 15
حراس من القردة 19
أعرف من القادم 19
في الخدمة المدنية الهندية 21
ضد اثنين من الألمان 22
أنت رجل مجنون 23
وأخيرًا استقالته 24
فيلبي يؤهل المتطوعين من الإنكليز دفاعًا عن العرب 25
أبحث عن فيلبي لتحريض العرب 26
اتهام من حكومة فلسطين 27
فيلبي وسيط السلاح 28

الفصل الثاني

إنكليزي يدافع عن قتل قبائل يمنية طيارين بريطانيين 31
مقدمة: 31
رؤية المخابرات البريطانية لفيلبي 32
إلى أمه 33
إلى ابنته 34
إذاعة بي بي سي 34
رفض الحرب 35
الانهزامية 36
عدم الولاء 36
الخارجية: فيلبي يحرض الملك ضدنا 37
مذكرة 38
رؤية صديق: ذكي ومغرور لا يحتمل 41

الفصل الثالث

الملك عبد العزيز والعرب بعيون وقلم فيلبي 45
مقدمة: 45
مكة والعرب 46
كيف رفض الملك عبد العزيز العدوان على العراق فأغضب الدويش 55

الفصل الرابع

فيلبي يُغضب ملك اليمن ويثير فضول العطاس 59

مقدمة: 59

يشبوم تتهمه بالحماقة 60

إلى المكلا مجبرًا 61

التفريق بينه وبين حراسته السعودية 61

وشاية من سلطان شهر 62

يعود برفقة لاجئين.وزعم برشاوى لحضرموت 63

فيلبي بين ملكي السعودية واليمن 65

بلبلة حول مرخة بسبب فيلبي 66

العطاس يوسط فيلبي لدى الملك 67

ملك اليمن.. قلق 68

الفصل الخامس

أسرار الاتفاقية السعودية: الفرنسية وتهاون بريطانيا الأولي تجاه وحدة المملكة 71

مقدمة: 71

أسرار الاتفاقية السعودية ـ الفرنسية 72

أسرار المواقف البريطانية من توحيد المملكة 75

رؤية مبكرة لحل القضية الفلسطينية وإنشاء خط سكة حديد الحجاز 80

عن القضية الفلسطينية وخط سكة حديد الحجاز 80

الفصل السادس

بريطانيا تعتقل فيلبي وتحرمه من السفر إلى أميركا 87
مقدمة: 87
بدأت مشاكل فيلبي 88
الجوازات تتآمر ضده 89
يتشاجر مع الملك عبد العزيز ومع ذلك يحميه 90
الملك يضعه تحت الرقابة 91
ويوصي بريطانيا بتفتيشه 93
وفعلًا... فتشوه... واعتقلوه 93
مثير وهو طليق.. وهو سجين 95
المخابرات تعترف بالخطأ الفادح 96
الخارجية مع الاعتقال.. ليست ضد الإفراج 97
المخابرات تتبرأ... 99
والداخلية تريد الدليل 99
لا للعودة للسعودية 100
المخابرات الكينية: فقد وده مع الملك 100

الفصل السابع

كيف أدار الملك عبد العزيز مفاوضات النفط ولماذا انحازللشركة الأميركية؟ 103
مقدمة: 103
فهارس عامة 125
المترجم في سطور 137

فيلبي... الظاهرة

هاري سانت جون «عبدالله» فيلبي شخصية متميزة ومثيرة للجدل، عايشت تطوّرات سياسية مصيرية في تاريخ الشرق الأوسط، وكانت على صلات مباشرة وغير مباشرة فيها. كذلك كانت لها بصمات في مجالات الكتابة واللغات والرحلات والاستكشافات والعلاقات التجارية. حكاية فيلبي هي مزيج من الخيال والواقع، وفوق كل ذلك الطموح والحلم. وإذا ما كان معاصره ت. إ. لورنس (1935–1888)، المعروف بـ«لورنس العرب»، قد حظي بشهرة واسعة في الغرب، فإن أثر فيلبي ورهانه السياسي يتجاوزان لورنس، فكما تشير إليزابيث مونرو في كتابها «فيلبي العرب» (فابر آند فابر 1973) لم يعط حقه من التقدير ربما لأنه اعتبر مارقًا ـ أو مرتدًا ـ على المؤسسة البريطانية.

ولد فيلبي (1883-1960) في سري لانكا (سيلان يومذاك) لأسرة بريطانية ميسورة، ودرس في مدرسة ويستمنستر الخاصة الراقية بوسط لندن قبل أن يلتحق بكلية ترينيتي في جامعة كمبريدج ويتخرّج فيها مجازًا باللغات والآداب الشرقية. وهو قريب للمارشال برنارد مونتغمري، أحد أبطال الحرب العالمية الثانية، الذي كان إشبينه يوم زفافه على زوجته الأولى دورا جونسون عام 1910.

عمل فيلبي ضابط استخبارات مع سلطات الاستعمار البريطاني في الهند والشرق الأدنى اعتبارًا من 1907، وشغف بالشرق وحضاراته وطبيعته ولا سيما طيوره التي اكتشف بعض فصائلها ووثقها وأعطاها مسمياتها، وأرسل نماذج منها إلى المتحف البريطاني، وحمل اسمه نوع من الحجل هو «حجل فيلبي» Alectoris philbyi. وبجانب رحلاته الاستكشافية أتقن اللغات العربية والفارسية والأوردية والبنجابية والبلوشية. وفي فترة لاحقة من حياته، بعد اعتناقه الإسلام، تزوج من سيدة عربية. وهو أب لولد هو كيم فيلبي، الجاسوس المزدوج الشهير، وثلاث بنات.

بدأ فيلبي عمله في الهند وكان مقره في مدينة لاهور (في باكستان اليوم) عام 1908 وانتقل عام 1915 إلى العراق ليشرف على القسم المالي في الإدارة البريطانية ببغداد، وفيها عمل مع (غيرترود بل) الشهيرة بـ«الخاتون» من الاستخبارات العسكرية البريطانية التي علّمته دقائق العمل الاستخباراتي. وكان في صميم مهمة فيلبي في تلك الحقبة تنظيم «الثورة العربية» ضد العثمانيين وحماية حقول النفط في جنوب العراق.

وفي خريف عام 1917 انتقل فيلبي لأول مرة إلى شبه الجزيرة العربية على رأس بعثة مرسلة إلى الملك عبد العزيز آل سعود، الذي بعد تعرّفه إليه أعجب به ومال سرًّا إلى تفضيله على الشريف حسين بن علي شريف مكة الهاشمي. وكانت السياسة البريطانية يومذاك تتقرّب من الشريف حسين وتعده بأن يكون «ملك العرب».

فيلبي قطع شبه الجزيرة برًّا، وحصل على «الوسام

الذهبي» للجمعية الجغرافية البريطانية على هذا الإنجاز، ثم عيّن عام 1920 وزيرًا للأمن الداخلي في سلطة الانتداب البريطاني بالعراق. وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1921 عيّن رئيسًا للاستخبارات في سلطة الانتداب البريطاني في فلسطين. وبنهاية عام 1922 توجه إلى لندن للمشاركة في المفاوضات الخاصة بمصير فلسطين. مع العلم أن موقفه المناهض لسياسة بلاده في دعم الشريف حسين فرض عليه الاستقالة من منصبه عام 1924. في كتابيهما «صانعو الملوك: اختراع الشرق الأوسط الحديث»، يروي كارل ماير وشيرين برايساك (2008)، أن فيلبي كان منذ بداية عمله يحس بأنه غير مقدر، وأن آراءه لا تحظى بالأهمية لدى رؤسائه، وقد ازداد ذلك الإحساس بعد عودته للعمل في لندن، حيث كان يشعر بأن سياسات بلده في الشرق الأوسط خاطئة. ومن على منضدة تعلوها صورة بورتريه لابن سعود كتب فيلبي استقالته، وما إن عاد إلى المنزل حتى فاجأ زوجته وغيرترود بل - التي كان تزورهم - بعزمه على الاستقالة والعودة مجددًا إلى الشرق الأوسط.

في هذه الأثناء، بما يخصّ شبه الجزيرة العربية، آمن فيلبي بضرورة قيام سلطة واحدة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر. وبالفعل، قدّم مشورة سياسية للملك عبد العزيز إزاء كيفية مواصلة تحقيقه حلم توحيد مملكته من دون إثارة حفيظة بريطانيا التي كانت في تلك الفترة القوة المهيمنة على مقدرات الشرق الأوسط.

بعدها، في أعقاب استتباب الأمر للملك عبد العزيز، استقر فيلبي في جدة وانخرط في المجال التجاري شريكًا في

شركة تجارية كان بين وكالاتها وكالة سيارات فورد. ومن ثم، نشط كرحالة ومستكشف جغرافي وعلمي، فكان من روّاد مستكشفي المنطقة وراسمي خرائطها .كان فيلبي أول من وصل إلى آثار عُبَّر (وبار) البركانية في الربع الخالي عام 1932، وذلك بعد عامين من اعتناقه الإسلام وحمله اسم عبدالله، ومن ثم تمتعه بحظوة عند الملك عبد العزيز الذي جعله كبير مستشاريه للعلاقات مع بريطانيا والدول الغربية، بما فيها العلاقات الاقتصادية. وحقًا، لعب فيلبي دورًا مهمًّا في تسهيل عمليات التنقيب عن النفط في المملكة اعتبارًا من عام 1931 عبر شركات أميركية على رأسها ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا.

مواقف فيلبي التي جاءت مناقضة للمصالح البريطانية في شبه الجزيرة العربية، وفقًا لمصادر مطلعة، حفّزت لندن على تكليف ابنه كيم بالتجسس عليه. وبعدها، قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، أخفق في محاولته دخول مجلس العموم البريطاني وعاش حقبة مضطربة في علاقاته مع وطنه الأم تخللها اعتقاله لفترة قصيرة. كذلك تراجعت علاقاته بالسعودية لبعض الوقت، مقابل تحسّن علاقته بابنه كيم الذي كان قد ساعده في الترقي بسلك الاستخبارات. مع هذا استقرّ فيلبي في الرياض عام 1955، لكنه توفي عام 1960 في منزل ابنه ببيروت، خلال زيارة له في العاصمة اللبنانية، ودفن فيها.

ترك فيلبي خلال أربعة عقود نحو 16 كتابًا عن العرب وشبه الجزيرة العربية لعل أشهرها «قلب الجزيرة العربية» المطبوع في لندن عام 1922.

لم يكتب عن فيلبي إلا القليل خلال العقود التي تلت وفاته، ولم يتوافر للباحثين إلا ما كتبه هو نفسه، أو ما رواه بعض معاصريه في يومياتهم أو مذكراتهم. ومن بين الكتب التي تناولت شخصيته كتاب إليزابيث مونرو الذي أشرنا له، وكذلك كتاب «الجورجيون المشاهير: حياة كل من الملك جورج، وإليزابيث بون، وهاري سانت فيلبي» (دار سانت مارتن 1997). ولهذا تمثل المواد التي كشفتها المحفوظات البريطانية في تشرين الاول/أكتوبر من عام 2002، مصدرًا مهمًّا لمعلومات لم تكن متوافرة عن شخصية فيلبي، ولقد قام الصحافي الراحل حسن ساتي بعمل مميز في مراجعة هذه الوثائق، ونشرها في صحيفة الشرق الأوسط في عدة حلقات (كانون الأول/ديسمبر 2002- كانون الثاني/يناير 2003).

عادل الطريفي
رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط

الفصل الأول

إنكليزي قادته روح المغامرة إلى جدة

مقدمة:

أفرج مكتب السجلات العامة والأرشيف القومي ببريطانيا صباح الخميس 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ولأول مرة عن 311 ملفًا عن العملاء والنشاط الاستخباراتي، كان مقررًا الإفراج عنها عام 2005. بين تلك الملفات، ملفان بالرقمين KV/2/1118 و KV/2/1119 عن هاري سانت جون بروجر فيلبي، الذي أصبح الحاج عبد الله فيلبي بعد اعتناقه الإسلام، وفي الملفين 236 وثيقة، يقود مجمل قراءتها إلى الوقوف أمام شخصية خلافية ودرامية في الوقت ذاته.

رجل يستقيل من الخدمة المدنية الهندية ليدخل المنطقة العربية، ثم يعتنق الإسلام ويصبح مقربًا من الملك عبد العزيز وتدور به الدائرة ليقول له الملك «أنت كذاب». ورجل يجادل حكومته البريطانية بأن الملك عبد العزيز هو الوحيد القادر على توحيد السعودية خلافًا لترشيحات لورنس العرب، فيقول له اللورد كيرزون عضو مجلس الحرب «أنت مجنون يا فيلبي..».

رجل يسوح بهويته البريطانية في محمية عدن فيثير غضب ملك اليمن ويضطر إلى مراسلة الملك عبد العزيز في شأنه.

فيلبي كاتب بارع، وهو الوحيد الذي عَبَر السعودية من البحر إلى البحر عام 1917 دون أن يحسّ به أحد، فألف كتابه «قلب السعودية» مثلما أوحى له التجوال في عدن وحضرموت بتأليف كتاب آخر أسماه «أخوات سبأ». وفيلبي سياسي قاد في مراسلات حية وساخنة من منزله في جدة لتغيير مواقف حكومة العمال من فكرة توحي بتقسيم السعودية واحتضان معارضين للملك عبد العزيز، ومع ذلك قبض في النهاية ـ وبسبب مواقفه من الحرب العالمية ـ الثمن اتهامات تصفه بالانهزامية، وعدم الولاء، ليتمّ التجسس عليه وعلى حركته واعتقاله.. ومن بعد، فلفيلبي مواقفه الواضحة من القضية الفلسطينية، وعنها كتب.

نقطع بأن التنقل بين أوراق المُخابرات البريطانية حول فيلبي، يقترب من الجلوس إلى فيلم سينمائي عالي الجودة.. مثلما نقطع بصعوبة عرض جميع هذه الوثائق انطلاقًا من صعوبة اتخاذ منهج يعتمد على التاريخ فقط في عرضها.

ولذلك اتخذت هذا المنهج الذي يتنقل، كما طريقة الدراما السينمائية أو التلفزيونية، بحرية تحاول إيجاد الرباط، ما أمكن، داخل كل حلقة من هذه الحلقات، مع الاحتفاظ بخيط يربط بينها جميعًا، ومن هنا ذهب التقرير إلى أن تكون بداية هذه الحلقات للروائي البريطاني والرحالة وليام جي. ماكين، ليحدثنا عن فيلبي لتكون الحلقة الثانية عن تقييم الداخلية والخارجية البريطانيتين لفيلبي، علّ ذلك يفتح العدسة

على أغوار شخصية بالغة التعقيد، دعك عن إسهامها الفاعل في حركة تاريخ الدول العربية بالشرق الأوسط في زمن كانت فيه تلك الدول تقاوم استعمار دولة فيلبي، أي بريطانيا العظمى.

كتب الروائي وليام ماكين يوم الجمعة 11 آذار/مارس 1932:

تداعت الأخبار لجهة قصة حافلة بالرومانسية المثيرة والمغامرة، تقول إن سانت جون فيلبي، الرحّالة العظيم والمستشار المالي لابن سعود العاهل العربي، قد اختفى منذ 2 كانون الثاني/يناير.

غادر جدة، مقره وداره على البحر الأحمر، في ذلك اليوم مع 15 رجلًا وبعض الجمال لجهة رحلة للمتعة من المقرر لها أن تنتهي في منتصف شباط/فبراير. ويعتزم ابن سعود إرسال فرقة للبحث عنه في الصحراء.

فيما يلي، قصة الإنجليزي، موظف الخدمة المدنية، الذي اعتنق الإسلام وألقى بثقله خلف الملك العربي ابن سعود، كما رواها عنه أحد الذين التقوه في جدة.

سيقول لك فيلبي إنه يعيش على بيع لعب الأطفال على حافة صحراء عربية. هذا شيء خيالي، ولكن كل شيء يفعله فيلبي في نهاية المطاف، يبدو خياليًا وغريبًا أيضًا.

يتوقف فيلبي من فترة لأخرى عن تجارته القائمة على بيع لُعب الأطفال أو العربات رخيصة الثمن للكبار ليختفي في الصحراء. هو دائمًا في حالة اختفاء. والآن جاءت رسالة من القاهرة تقول إن القلق يصاحب سيرة الرجل، لأنه اختفى مرة أخرى.

حينما كنت أقوم برحلة بحرية مؤخرًا في البحر الأحمر على متن إحدى البواخر غير النظامية، سمعت الكثير عن هذا الرجل الإنجليزي الغامض.

يقول عامل برقيات في بورتسودان: «هو رجل يعرف عن السعودية أكثر من أي إنسان على قيد الحياة. وهو بمثابة الساعد الأيمن لابن سعود ملك الحجاز. ولا توجد لهجة في السعودية لا يتحدثها مثله مثل أي عربي من مواليد البلد، وقد اعتنق الإسلام مؤخرًا».

أوصاف مختصرة مثل هذه لا تعدو كونها مشهيات عن هذا الرجل الإنكليزي الغامض. وقد أتى اليوم الذي حملني فيه مركب شراعي سعودي، وأبحر في شواطئ جدة، ميناء الحجاج، ووضعني على الشاطئ وسط جمع من العرب بنظراتهم المفترسة.

تقدمني مجموعة عرب مسلحين وضباط من قوات ابن سعود في ملابسهم ذات اللون (الكاكي). فحصوا كل أوراقي الثبوتية في هدوء إلى أن وصلت الأوراق ليد سمراء أدارت قرص الهاتف وحملت سماعة التلفون، فقال صاحبها لطرف آخر:

«أوصلني بمكة..» قالها بالعربية. عرفت أنه يتحدث إلى قصر ابن سعود في مكة التي تبعد عن جدة عدة أميال. فشرع وفي دقائق قليلة بتقديم أوصاف لي لأحد المسؤولين عبر خط هاتفي صحراوي. تلك كانت السعودية في تلك الأيام. وفي حوالي عشر دقائق انتهت كل المحنة.

حراس من القردة

قالوا لي بعدها: يمكنك دخول المدينة ولكن ليس ما بعد جبل حراء. قدمت شكري للضابط وتركت المكتب أحمل معي أرقامًا تُمكِّن من التحدث إليه ووجدت نفسي في الشارع أتنفس تحت شمس جدة المتوهجة. وخلال ساعة كنت قد وجدت المنزل الذي أبحث عنه، أعني منزل الرجل الإنكليزي الغامض، المستر سانت جون فيلبي. دخلته بشجاعة، مررت عبر ممر مظلم انتهى بي إلى فناء الدار المشمس. هناك رأيت ـ أول ما رأيت ـ أربعة قرود حبشية ضخمة تجلس القرفصاء، أدارت عيونها المفترسة ووجوهها المشعرة نحوي، ظلت جالسة ساكنة تمامًا، وتوقفت في حالة شعور بالارتعاش. ورغم أن القردة كانت مكتوفة بالسلاسل، إلا أنها تحمل قدرًا منها يمكنها من القفز للأمام.

تقدمت خطوة للأمام، فتقدمت القردة الأربعة للأمام، وفجأة انفجرت جميعها في إثارة جلبة، وكنت على وشك إدارة ظهري للمنزل والتفكير في الهروب حتى فاجأني صوت تحدث بالإنكليزية:

«لا تخف منهم، فهم حراس جيدون، ويطيعوني». وكان أن أتبع الملاحظة بأوامر باللغة العربية، فاستكانت القردة كضأن وديع، ومضى الصوت ليقول: «ادخل ودعنا نتناول مشروبًا».

أعرف من القادم

عبرت فناء الدار، لأجد على أحد ممراته الرجل الذي اختفى، طويلًا ونحيفًا، بلحية تحمل سوادًا خفيفًا، يعطيك

انطباعًا كما لو أنه أحد الشياطين السبعة الرئيسيين بلونهم الأسود في الأساطير الإغريقية، مثل ذلك الخيال في تصوره بهذا الشكل، يشارك في الإيحاء به إليك الزي العربي الأبيض الذي ارتداه. والشاهد أنه تقدمني إلى غرفة ضخمة.

قال: «سمعت بوصولك إلى جدّة، أنت قادم من أثيوبيا، أليس كذلك..؟». انتقل من السؤال إلى التصفيق بيديه ليدخل خادم عربي.. فوجَّهه بتحضير مشروبات. أومأت برأسي إشارة للقبول. بدأت من التحقق بأنه لا توجد أو لا مجال للأسرار أمام هذا الرجل الغامض، فهو يعرف كل شيء عن أي غريب يضع أقدامه على أرض جدة. يبدو أن مهمته أن يعرف ذلك. سألته: «هل الفرنسيون على حق بتسميتك صانع الملوك يا مستر فيلبي»؟

أسقَط في الحال وجهه الشاحب وانفجر في ضحكة، هي ضحكة شيطانية. قال بعدها: «أنا تاجر.. أبيع العربات كما تعرف، وبعض المحاريث.. ولعب الأطفال..».

قلت: «والتجارة ناجحة؟..».

قال: «ليست سيئة.. ليس بوسع أحد أن ينال حظوظه هنا».

قلت: «أليس هناك رجال عديدون أغنياء هنا.. ابن سعود على سبيل المثال..»؟

هزّ رأسه[1]..

---

(1) تبدو الإشارة للنفي اعتمادًا على ملاحظة الراوي القادمة.

قلت: «السياسة وحدها التي تكسب، هكذا قالوا لي في أميركا.. مَن في اعتقادك هم الأكثر ثراء في السعودية»؟

خلال تلك الساعات القليلة في حضرة فيلبي في ذلك القصر بجدة، بدأت في اكتشاف شيء في التاريخ المحيِّر والمغامرات المدهشة للرجل الإنكليزي ذي الـ 46 عامًا.

اختتم الحديث بالقول، أي فيلبي: «لقد أمضيت 15 عامًا في الصحراء.. 15 عامًا من الوحدة..».

في الخدمة المدنية الهندية

ظل تاريخ ومستقبل هنري سانت جورج بردجر فيلبي، ومنذ اللحظة التي رأت فيها عيونه النور في فيلا والده في بادولاس بسيلان غير عادي، فوالده مزارع شاي في عداد الأغنياء.

أرسله والده للتعليم في إنكلترا فتنقل بين وستمنستر وكلية ترنتي وكمبردج، ظل خلالها أستاذًا ذكيًا بقيم كلاسيكية، أظهر مبكرًا قابلية ونزوعًا نحو اللغات، وكان من الطبيعي أن يلتحق بخدمة كانت تعني الكثير للشباب في أيامه، أي الخدمة الهندية، فظهر اسمه رقم 50 في قائمة جيدة أعدت خصيصًا.

وجد نفسه بعدها في الهند يتعامل مع أعباء موظف الخدمة المدنية العادية بمميزات هي من نسيج شخصيته، مزجها بالعنصر المحلي، فجاءت الإشارة إلى ترقيته، وحين انفجرت الحرب العالمية الأولى عام 1914 كان فيلبي قد أصبح سكرتيرًا لحاكم البنغال بمقره في كلكتا، ليجيء بعدها اختفاؤه الغامض والأول.

قيل وقتها إنه فقد نفسه بين أسواق بغداد وأسواق طهران في حدود واسعة بين البلدين. كان الجنرال تاونشيند وكوكبة من الضباط البريطانيين غارقين في موقف مأزوم ضد الأتراك. وحين ظهر سانت جون فيلبي، كان ضابطًا نشطًا وأنيقًا في قاعدة للقوات البريطانية معنيًا بالجانب الاقتصادي في وحدة المخابرات، ولذلك، فقد كان على معظم الجواسيس الذي استخدمتهم بريطانيا من ذلك المعسكر أن يمروا بعمليات التدقيق المتوهج لعيون فيلبي الزرقاء والحديدية. ومرة أخرى، اختفى فيلبي من القاعدة مرتين، كان فيهما يتنكر في الطرق الفرعية ببغداد في زي شحاذ عربي.

ضد اثنين من الألمان

في تلك الأثناء، كان اثنان من الألمان الأذكياء يعنيان الكثير للقوات البريطانية، الأول هو المشهور «واسماس» الذي تعامل مع عصابة من مقاتلي حرب العصابات عبر منطقة بلاد فارس في عمليات انقضاض مستمرة على حقول النفط، وبشكل عام، لإرباك خطوط الاتصالات البريطانية بين الهند وتلك المنطقة. أما الألماني الآخر فهو بريزر الذي يقال عنه إنه سيد الخليج العربي. فكان على سانت جون فيلبي أن يراهن بعقله ضد هذين الرجلين الذكيين.

وكانت النتيجة أمرًا لا مفر منه، فقد مات بريزر مطعونًا بخنجر من أعرابي، فيما وَجَد واسماس نفسه محاطًا عن قرب بعصابة في إيران، وتمكن من الهرب في جنح الظلام إلى

سقف الدنيا، أي آسيا الوسطى، فلجأ هناك في إحدى دولها، وحين انتهت مهمة فيلبي، اختفى مرة ثانية.

أشار الكولونيل لورنس إلى اسم فيلبي باختصار في كتابه، وقد حدث اللقاء غير المتوقع في الصحراء، فقد عَبَر سانت جون فيلبي خريطة السعودية البيضاء من الخليج العربي إلى البحر الأحمر دون أن يلاحظ أحد هذه الرحلة أو الحقيقة. كان لورنس مشغولًا مع الأمير فيصل، الرجل الذي اعتقد لورنس أنه الملك الوحيد المحتمل لسعودية موحدة، فيما أشار فيلبي إلى عبد العزيز بن سعود الذي كثيرًا ما سافر معه في الصحراء. وقد ظل فيلبي على قناعة بأن هذا الزعيم، المؤمن بنصوص القرآن، والذي يشمئز من التدخين، ومن قيم العصر المنحلة، مُقدر له أن يدخل مكة كفاتح منتصر في رفقة مقاتليه.

أنت رجل مجنون

ظهر سانت جون فيلبي بعدها في فندق في لندن، وقد قصد هذه المرة أن يضع حقائبه أمام مجلس الحرب، وبعد انتظار طويل تحددت له مقابلة مع اللورد كيرزون، فدافع مرة أخرى عن قضية ابن سعود، فيما ظل اللورد كيرزون يستمع على مضض، إلى أن نفد صبره ولم يستطع السيطرة على نفسه فقال: «أنت رجل مجنون يا فيلبي!».

ابتسم فيلبي، وغادر الاجتماع ليجلس في غرفته بفندقه مع زجاجة بيرغندي، وبعد ساعات قليلة تسلمت وزارة الخارجية رسائل عاجلة من السعودية تقول إن ابن سعود

يزحف في السعودية مثل لهب ثائر، فكان استدعاء سانت جون فيلبي لوزارة الخارجية، وتحدث معه اللورد كيرزون مرة ثانية، وحين غادر فيلبي الوزارة اتجه إلى الفندق ولساعة واحدة، ليختفي مرة أخرى، ليعود ويظهر مرة أخرى أيضًا، ولكن في معسكر ابن سعود وبين مقاتليه بملابسهم السوداء، ولكن الظهور هذه المرة تلبّس كونه مبعوثًا بريطانيًّا ذا سطوة ونفوذ، وليقدم بالنيابة عن بلاده منحة حكومية لابن سعود قدرها 60,000 جنيه استرليني، وكانت كل طلبات بريطانيا السلام والهدوء من الزعيم الجديد[1].

بعدها، ظل فيلبي يتلقى تكريما متعددًا، تسلم في 1920 ميدالية الشرف من الجمعية الجغرافية الملكية، ثم انتخب عضوًا بمجلس الجمعية الإسلامية الملكية. في 1921، عاد إلى بغداد وتسلّم وظيفة هامة هي المستشار لوزارة الداخلية. من 1922 إلى 1924 أصبح ممثل بريطانيا بالأردن، وهنا كان قد وصل إلى قمة طموحات الخدمة المدنية.

وأخيرًا استقالته

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية في قلب السعودية، فتجاهل ابن سعود التحذيرات البريطانية واحتل مكة زاحفًا عبر الصحراء، فقررت وزارة الخارجية البريطانية أن الشخص الوحيد المؤهل للتعامل مع الوضع هو سانت جون فيلبي،

---

(1) ابن سعود.

فاتجه فيلبي بالفعل في رحلة سريعة من الأردن إلى معسكر ابن سعود، وهناك تحدث إلى ابن سعود، ولا يُعرف ما حدث في خيمة ابن سعود. في مقابل ذلك، كل الذي عُرف هو أن سانت جون فيلبي خرج ليبرق استقالته إلى لندن، استقالة من كل مواقعه ومكاتبه، ترقياته وكل شيء، ليصبح تاجرًا عاديًا في جدة يبيع العربات والبضائع العامة. عيّنه الملك ابن سعود لاحقًا مستشارًا ماليًا، ووضع له قصرًا بجدة تحت تصرفه، ويزور فيلبي مكة كثيرًا، ويبدو موقعه في مقاطعة الحجاز، ولكونه مسلمًا، آمنًا، وهو من بعد لا يزال يمارس أعماله كتاجر، ربما يكون هذا العمل بالنسبة له مضجرًا لأنه اختفى في قلب الصحراء مرة أخرى، فهل يظهر ثانية..؟

انتهى مقال وليام ماكين

فيلبي يؤهل المتطوعين من الإنكليز دفاعًا عن العرب

هذا وجه آخر لهاري سانت جون فيلبي.. أو الحاج فيلبي، بعد أن فقد جاهه في السعودية، وفشل في دخول البرلمان، وزجت به بلاده في السجون، يستفيق ويحاول تأهيل المتطوعين من الإنكليز ليحاربوا إلى جانب العرب ضد بريطانيا وفرنسا، ومن أجل الاستقلال.. مواقف غريبة، وأحيانًا متناقضة، ولكن فيلبي في النهاية لا مكان في عالمه إلا لفيلبي فقط، كما وصفه مخبر بريطاني.

أبحث عن فيلبي لتحريض العرب

وثيقة رقم: z 122

التاريخ: 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1947

نسخة إلى: D.S.O فلسطين، وإلى PF. 40408 فيلبي

الأصل: ب PF 72124 المتطوعون البريطانيون للخدمة مع القوات العربية.

1- نرفق مذكرة عن المتطوعين البريطانيين للحرب إلى جانب العرب. ومصدر معظم هذه المعلومات CHEST و SEAT[1]

2- المقالة المنشورة في (ريفيل) لا تستحق الاعتبار على المجمل، ولكن الفقرات التالية ذات أهمية.

«الضابط رئيس تأهيل المتطوعين، بريطاني، تمّ وصفه لي (بأنه أعظم من لورنس بسبب عمله البطولي الذي عَبَر فيه وسط السعودية عام 1916)، وهو بالقاعدة الرئيسية بدمشق».

نكون سعداء بإمدادنا بأي معلومات يمكنك الحصول عليها.

3- أرسلت نسخة من هذه المذكرة إلى المخابرات M16، ولكن، ليس الآن، إلى الحزب أو وزارتي الخارجية والمستعمرات. (SGD) كي. اتش

عن السير بيرسي سيليتو

---

(1) الصدر والمقعد من الواضح أنهما اسمان حركيان لجهة أو فرد.

اتهام من حكومة فلسطين

وثيقة رقم: 644

التاريخ: 18 كانون الأول/ديسمبر 1947

إلى: المدير العام للخدمة الأمنية. لعناية B.3.A ص.ب 500، شارع البرلمان B.O، لندن S.W.1.

صورة: رئيس S.I.M.E وG.H.Q.M.E.L.F

1- أرجو الرجوع إلى مذكرتكم SF.19.8/B3A/KAFH بتاريخ 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1947.

2- اقترحت حكومة فلسطين أن الضابط رئيس تأهيل المقاتلين المشار إليه بالفقرة 2 من خطابك قد يكون سانت جون فيلبي الذي عَبَر السعودية من البحر إلى البحر عام 1917 وليس عام 1916. وقد قدم وصفًا لرحلته في كتابه «قلب السعودية» (كونستايل 1922). في بعض المجالات، خاصة تلك المتعلقة باكتشاف السعودية، قد لا يكون الملائم وصف فيلبي بأنه «في عظمة لورنس».

3- ليس هناك ما هو معلوم عن مكان فيلبي وأنشطته، ولكن من المعتقد أنه كان مؤخرًا بالرياض في خدمة الملك عبد العزيز بن سعود وأنه قد زار الهند نيابة عن الملك مطلع هذه السنة.

و. ج. فولكيز

ضابط الأمن الدفاعي

فيلبي وسيط السلاح

وثيقة رقم: A61

التاريخ: 4 كانون الأول/ديسمبر 1948

الموضوع: نسخة من خطاب سانت جون فيلبي من جدة بالسعودية بتاريخ 18 كانون الأول/ديسمبر 1948 إلى إدوارد جاكسون المقيم بـ 6 شارع هولاند، W.14، وهو تاجر سلاح.

عزيزي جاكسون:

بالإشارة إلى مناقشاتنا الأخيرة، وإلى طلب عاجل تسلمته مؤخرًا من فؤاد بيه حمزة المقيم بباي راوث، أرفق لك قائمة بحاجات عاجلة تطلبها السلطات السورية، على أمل أن تتمكن من أن تجدها موجودة للتصدير العاجل إلى ميناء سوري أو إلى باي راوث. في حالة حصولك عليها، أرجو إرسال كل الوثائق المتعلقة بها، أي القوائم، الأسعار، تكاليف الشحن.. إلخ، وبصورة عاجلة إلى فؤاد بيه رامزة[1] بالعنوان المشار إليه. من الضروري أن لا تثقل الأسعار الأولية بعمولات عالية. أما إذا كانت البضاعة مقنعة والأسعار معقولة، فإني أوصي وبشدة أن تدبر أمر الذهاب بنفسك إلى باي راوث للاتصال الشخصي بفؤاد بيه هنزه[2]، وذلك لأن ذلك سيسهل من العملية حيث المباشرة أفضل من المراسلة. وكما تلاحظ فالموضوع عاجل

---

(1) هكذا ورد الاسم رامزة والأرجح أن خطأ مطبعيًا من فيلبي قد رافق حرف H من حمزة، لتصبح رامزة.

(2) الخطأ المطبعي نفسه رافق حرف M من حمزة لتصبح هنزة.

جدًّا، والعرب تحققوا بأنهم قد أضاعوا سلفًا وقتًا قيمًا تخبطوا فيه بين عملاء كثيرين يعملون في هذا الحقل. إذا دعت الضرورة، سأكون مستعدًا للتوجه إلى باي راوث بنفسي لتقديم المساعدة الممكنة.

الفصل الثاني

إنكليزي يدافع عن قتل قبائل يمنية طيارين بريطانيين...!

مقدمة:

هذه رؤية أخرى لفيلبي على مساحة بعيدة من تلك التي رسمها الروائي البريطاني وليام مكين والتي احتفظت المخابرات البريطانية بنسخة منها.

وزارة الداخلية هنا رصدت مراسلاته لزوجته وابنته وأمه، وصوّرتها وضمنتها ملفيها عنه.. وقد رأت فيه شخصًا بلا ولاء لبلاده وانهزاميًّا.

وزارة الخارجية جارتها في التقييم ورأت أنه نصح الملك عبد العزيز باتخاذ خط متشدد خلال المفاوضات البريطانية ـ السعودية عام 1928 وإلى ذلك ترى أنه حرَّض الملك للتشدد مع بريطانيا حول القضية الفلسطينية.

جهازا المخابرات البريطانية M15 و M16 استعانا برؤية صديق في لهاثهما نحو تقييم الرجل الذي أرهقهما، فأنصفه

الصديق بمقدار وموضوعية، ولم ير فيه مجرد إنسان مجنون استنادًا إلى صداقة ثلاثين عامًا.

والثابت الوحيد هنا هو بقاء شخصية الحاج عبد الله فيلبي كما هي، توقُّد واضح تجاه القضايا واعتداد بالرأي يلامس الغرور.

رؤية المخابرات البريطانية لفيلبي

وثيقة رقم: A54

التاريخ: آب/أغسطس 1940

الموضوع: هاري. سانت جون فيلبي. كاتب ورحالة. اعتنق الإسلام وهو مستشار شخصي لملك العربية السعودية. بين الشخصيات التي تعتبر في عداد أصدقائه حينما كان بإنكلترا هؤلاء:

- وليام جويس (هاو-هاو) والذي أسس معه الرابطة القومية الاشتراكية.
- جون بيكيت (الآن في السجن) رئيس تحرير سابق لـB.U.F المعنية بمنظمات فاشية مثل «القميص الأسود» و«الفعل».
- اللورد تافستوك.

المستر فيلبي من الموقعين على خطة المجلس البريطاني المسيحي للتسويات السلمية.

له طموحات سياسية بنوايا فاشية. وقد عبّر في ثلاث رسائل أرسلها من السعودية إلى أسرته في إنكلترا كتبت بتواريخ

26 و27 أيار/مايو 1940 عن نقده واحتقاره لسياسة الحكومة البريطانية حاضرًا وماضيًا. كما عبّر عن انهزامية وعدم ولاء مع قناعات ضد الحرب لأسباب أخلاقية.

نقد الحكومة: كما جاء في رسالة لزوجته: «نبدو جميعنا الآن تحت حذاء غامر بالدكتاتورية مثلما يبدو أي شخص محبًا لذلك، ولكنهم سيسأمون ذلك قريبًا، ومن بعد سيكون عليهم حمل ذلك وحبه. بالنسبة لي شخصيًا، اعتقد أن كل الأمر مجرد كلام بلا أفعال، فيما عدا الطبقات العاملة، والذين سيحبسون بقوة في ذلك. ولكني لا أعتقد أنهم سيملكون فائدة أكثر للمهذبين من أمثالي وأمثالك، فماذا يمكننا أن نعمل؟ لا شيء بالفعل، وهم يعرفون هذه الحقيقة مثلما نعرفها نحن.

الإضافة الممكنة هنا هي أنهم لا يريدون منا أن نفعل أي شيء. وهم يتوقعون من هتلر أن يقوم بكل شيء. وعلى أية حال تبدو M.E.W ميتة.. ولكن وزارة الإعلام هي الجهة التي يجب عليهم التخلص منها، وهي سيئة أكثر من ذي قبل، خاصة مع قمعها الآن لكل الأخبار وامتلاء مقرّها بتلك المادة D.C.Sob.........»

إلى أمه

«تحفزني صورتك في الحديقة كثيرًا على أن أكون هناك، ولكن ليس من الممكن إنجاز ذلك الآن، خاصة مع ديكتاتوريتنا الجديدة ونشاطات الغستابو .. ذلك لن يناسبني على الإطلاق. يبدو كل شيء هيستيريًا وسخيفًا».

إلى ابنته:

بوسعي فقط أن أعيش الأمل بأن كل الأمر لن يكون سيئ الوقع على أطفالك، والذين لا يستحقون لومًا تجاه الفوضى والإزعاج الذي يسيء إلى عالم اليوم.

وشكرًا للحكومة القومية (1931-1940) التي ماتت لحسن الحظ، والتي احتوت على أكثر طاقم من السياسيين يتميز بعدم الكفاءة والأنانية ممن ائتُمنوا على مصائر هذا الوطن والعالم معه. لقد أقاموا أيضًا، ومنذ البداية، هذه الحرب على الخطوط أو الجبهات الخاطئة، واثقين في الحصار، والعقول المغلقة، والدعاية لتؤدي لهم عمل الجيوش المؤهلة.. ربما تكون الحكومة الحالية أفضل، ولكنها ربما لا تملك القدرة على انتزاع الدهن من النار، فهناك كان ولا يزال، كلام كثير جدًّا، في مقابل فعل قليل جدًّا».

إذاعة بي بي سي

يقول: «تبدو الأشياء خطيرة لدرجة أن البي بي سي أخبرتنا بأن علينا ألا نحصل على أية أخبار أكثر أو إضافية عن الحرب إلى أن تعتقد الحكومة بأنها مناسبة، ولذلك علينا أن ندير مؤشرات أجهزتنا إلى ألمانيا وإيطاليا لنعرف ماذا يحدث، وليست تلك بالأخبار الحسنة، في الآونة الأخيرة أصبحت دوريات أخبارهم بالحقيقة أكثر سوءًا، ولم أعتقد أن ذلك ممكن، فوجدت أنه لزام عليّ أن أدير أجهزة استماعي إلى برلين وروما ومناطق أخرى للحصول على فكرة مقبولة حول ما

يحدث. وعلى سبيل المثال، فليس للبي بي سي الكثير حول سقوط كاليه، والذي حدث أول من أمس. ومع ذلك لا يهم ما فعلت البي بي سي، لأن هناك قدرًا كبيرًا من المصادر الأخرى التي يعتد بها. أما بالنسبة لداف كوبر فمادته الركيكة وصوته العجيب ومناداته المستمرة بالشجاعة والثبات والموت طريق أفضل من العبودية.. إلخ، فكل تلك الهشاشة تجعل المرء في انتظار متى سيذرف ذلك المتحدث الدموع».

رفض الحرب

يقول:

1- «استغرب ما إذا كانت هذه ستكون الحرب الأخيرة. يبدو أنهم يعتقلون أي إنسان يقف مع السلام بما في ذلك أحد أصدقائي (بيكيت؟) فيما كان الأفضل لهم أن يستمعوا لنا في الصيف الماضي. وعلى كل حال، فقد سجن رامسياي ماكدونالد جراء مواقفه الرافضة للحرب على أسس أخلاقية في الحرب السابقة ولم يسبب ذلك السجن له أي أضرار». و«إذا كان لهم أن يأخذوا أصوات السلام على محمل الجد قبل عام، فإن الأمور ما كان لها أن تصل إلى هذا الممر الخطر الآن».

2- «أنا آسف حول مصير بيكيت المسكين. سألته مرة عما سيفعله إذا أتت الحرب، فقال: سأفعل ما بوسعي لأكون خارج الجيش وخارج السجن».

3- «لا أستطيع مقاومة دهشتي حول ما إذا كان أناس فولكستون وهيث يتذكرون الآن ما قلناه لهم قبل عشرة

أشهر. وليتهم كانوا أكثر تعقلًا في انتخابهم لذلك الحمار (برينز). كانت الأمور ستكون مختلفة كليًّا الآن. وعليهم الآن أن يرسلوا أطفالهم لينتظروا لحظة انفجار العاصفة».

4- «إذا تقرّر قيام انتخابات عامة، أظن أني سأحاول أن أخوضها، ولذلك ستكون أنت مشغولًا مع (آمبر) من أجل أن تجد لي مقعدًا بآفاق معقولة، ولكني، وفي كل الأحوال، لن أقف مع الحرب في أية جهة كانت، ولا مع أي حزب».

الانهزامية

«أي فوضى هذه التي دخلناها. وكما تعلم فقد فعلت ما بوسعي لإيقافها ولكنهم لم يستمعوا، ومن بعد، فلا أملك مفهومًا محددًا تجاه عدم الكفاءة المنتشر والذي التهم أحشاء نظامنا الإداري. وبوسعنا أن نتسابق إلى كنائسنا ومصانعنا الآن، ولكن الوقت تأخر كثيرًا. وبلا شك فإن جنون التجسس الجديد وطرق الغستابو مؤشرات حية على انهيارنا».

عدم الولاء

يقول لزوجته:

«حسنًا، من أين لي إيجاد مخرج؟ أتخيل أنهم مشغولون جدًّا عن أن يتذكروا وجودي، فيما لم أتطوع من جانبي بتذكيرهم بأني لا زلت موجودًا، وأني لا أزال خارج التعاطف معهم ومع طرقهم. ولذلك سأظل على موقفي رغم

أن العلاقات هنا لا تزال متوترة بعض الشيء. لم أر الملك عبد العزيز لعشرة أيام وأشعر أنه لا يخلو من عدم ارتياح، وفق مسيرة الأمور هنا، رغم أن معظم الناس مسروررون بعض الشيء، وإن كانوا خائفين قليلًا. لا أنوي مقابلة الملك إلى أن يعتذر لي (بأي طريقة يراها) عن وصفه لي بأني كذاب حينما أخبرته بأن الألمان قد اقتحموا ميس.. أتقابل مع أخيه عبد الله كل يوم .....».

الخارجية: فيلبي يحرض الملك ضدنا

وثيقة رقم: A55

التاريخ: 30 آب/أغسطس 1940

الموضوع: مكتب الهند كتب للداخلية

عزيزي هتشنسون:

قد تتذكر أننا تحدثنا معك قبل شهر عبر الهاتف حول المدعو هـ. سانت جون. ج. فيلبي، الموظف السابق بالخدمة المدنية الهندية والذي تعتبر تصريحاته العلنية في السعودية والناقدة لسياسات حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بالحرب، خطرًا مثلما هي فضيحة. هو الآن على وشك مغادرة السعودية إلى أميركا مرورًا بالهند حيث اقترحت حكومة الهند اعتقاله بموجب قوانين الدفاع الهندية وترحيله من بعد المملكة المتحدة. قلت أنت إن الداخلية البريطانية لا تعترض على إرساله إلى هناك، وأنك ترغب في إحاطتك بتحركاته في حال رغبتك في اتخاذ إجراءات مع وصوله.

أحاطتنا الحكومة الهندية الآن بأنه أبحر من كراتشي إلى المملكة المتحدة يوم 18 آب/أغسطس على متن الباخرة (اس. اس. فينيس) وأن لدى ربان السفينة تعليمات بمنعه من النزول إلى أي ميناء خلال الرحلة. أرفق لعلمك نسخة من مذكرة حول فيلبي أعدتها وزارة الخارجية في نيسان/أبريل الماضي، مع بعض التعديلات الطفيفة. أرسلتُ نسخة من هذا الخطاب إلى باجالي بوزارة الخارجية.

إمضاء: ج. ب. جيبسون

مذكرة:

المستر هـ. سانت ج. فيلبي، موظف بالخدمة المدنية الهندية من 1908 إلى 1925. في عام 1917 تمّ انتدابه للعمل مع عبد العزيز بن سعود ـ وقتها كان سلطان نجد ـ بالرياض، ووضع له تصورات إدارية. تمّ تعيينه بعد ذلك مستشارًا لوزارة الداخلية ببغداد، وشغل منصب الممثل البريطاني الرئيسي بالأردن من 1921ـ1924 حيث وقع في خلاف مع حكومة جلالة الملك وقدم استقالته التي لقيت الترحيب من ذلك المنصب.

لم يتمّ استخدامه بعد ذلك في منصب بالخدمة العامة. جعل من جدة بمنطقة الحجاز بعد ذلك مقرّه الرئيس وأدار أعماله من هناك. حمل تقرير في حزيران/يونيو 1928 أنه ميّال للنقد الشديد لسياسة حكومة جلالة الملك بالسعودية، وهناك سبب وجيه للاعتقاد بأنه نصح ابن سعود لاتخاذ خط متشدد خلال المفاوضات التي أجريت بين ابن سعود والسير

ج. كلايتون نيابة عن حكومة جلالة الملك عام 1928. في عام 1930 أصبح فيلبي مسلمًا، وأنفق بعد ذلك وقتًا كثيرًا في رفقة ابن سعود بالرياض ومناطق أخرى. في 1931 حصل لشركته على حق احتكار توريد السيارات للمواصلات العامة. في 1936 أثار غضب السلطات في عدن بظهوره في شبوة بمحمية عدن برفقة مرافق سعودي مسلح دون إخطار.

أفادت التحريات أنه حصل على ذلك المرافق من السلطات السعودية لجهة مسوحات طبوغرافية في نجران. فذهب أولًا إلى اليمن ثم إلى محمية عدن دون علم السلطات السعودية. ناتج هذه الرحلة أصبح في ما بعد نشره لكتابه «أخوات سبأ» والذي احتوى على هجوم كبير للسياسة البريطانية في محمية عدن.

في 1937-1938 بذل جهودًا كبيرة، بتحريض ابن سعود باتخاذ اتجاه يحمل العداوة الواضحة لحكومة جلالة الملك حول فلسطين ولم ينجح. في 1939 تنازل عن امتياز احتكار توريد السيارات نتيجة خلاف مع وزير المالية السعودي وعاد إلى إنكلترا، ورشح نفسه للبرلمان ولم ينجح.

طلب ابن سعود بعد فترة وجيزة من اندلاع الحرب العالمية من فيلبي العودة إلى السعودية. أصبح فيلبي، ومنذ عودته يجاهر بالحط من قدر سياسات وأفعال حكومة جلالة الملك. في الآتي بعض الأمثلة من تعليقاته على بعض الأحداث:

أ -في تشرين الثاني/نوفمبر 1939 لجأت طائرة بريطانية إلى الهبوط الاضطراري في حضرموت فقتل العرب

من كان على ظهرها. عبّر فيلبي عن رأيه بالقول: بما أن الطائرة قد أرسلت لقصف المواطنين القرويين فإن قتل طاقمها مبرر.

ب - ظل مستر فيلبي على رأيه في عدة مناسبات، بأنه ليس على الحلفاء الدخول في حرب غير ضرورية تجلب الدمار للسعودية وقد تدمر العالم. ويقول إن الحلفاء لن يستطيعوا تحقيق النصر، وربما، وبمرور الوقت يجدون أنفسهم ملزمين بالوصول إلى سلام مشوّه. وقد ارتكبوا خطأ بضمان بولندا، وأن المستعمرات الألمانية كان من الممكن أن تُستعاد.

ج - يجادل مستر فيلبي بأن نظام حكمنا ديكتاتوري وأنه ليس هناك فرق عملي بين إنكلترا وألمانيا في هذا الخصوص. وهو يدعم جدله بالزعم بأن 11000 من الشباب في إنكلترا تمّ تقديمهم لمحاكمات لمجرد حملهم لأفكار ضد الحرب على أسس أخلاقية.

د - لدى فيلبي تقييمات تذهب إلى أن خدمة الأخبار البريطانية وضيعة وجديرة بالازدراء وأن الأرقام المتعلقة بالخسائر في السفن خلال الحرب تمّ تزويرها عن قصد.

فيلبي قال بتصريحات مشابهة للوزير الفرنسي في جدة والذي رأى ـ أي الوزير ـ أن من الضروري إبراق حكومته فيما يتعلق بما اعتبره سلوكًا مشينًا.

وزارة الخارجية

1 نيسان/أبريل 1940

رؤية صديق: ذكي ومغرور لا يحتمل

وثيقة رقم B51
التاريخ: 24 أيلول/سبتمبر 1940
الموضوع: هـ سانت جون. فيلبي. سري وشخصي جدًا
عزيزي ج.

خطابك PF.40408/B بتاريخ 19 أيلول/سبتمبر 1940 عن هـ سانت ج. فيلبي واحد من أصعب الخطابات التي أرسلتها لي بشأن الإجابة المطلوبة.

افترض أني عرفت فيلبي بصورة متواترة ومتقطعة لمدة تصل إلى نحو 30 عامًا. عرفته ذلك العنيد الأحمق يوم كان مساعدًا للمفوض في شاموز بمنطقة البنجاب. كان دومًا وبانفراد مجردًا من المعاملة وضد رؤسائه باستمرار. وهو شديد الاعتداد بآرائه ولديه قدرة فائقة، في الغالب، في التعبير عن نفسه بكفاءة ودقة، مستصحبًا ذلك الغرور الذي لا يجعل لأحد قول كلمة طيبة له. ومع ذلك، لم يكن من بعد، ولا من قبل، يحمل ذرّة من سمات الغباء.

كسب مؤخرًا معرفة كبيرة بالسعودية وبالعرب خلال عمله كمفوض سامٍ بالأردن. وقع بعنف في خلاف مع وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات حول السياسة في شبه الجزيرة العربية، وعبّر عن نفسه في غضون ذلك الخلاف بصورة أكثر سلطة وقوة وغرورًا عما كان عليه حاله حينما كان مساعدًا للمفوض بالهند. أيّد إسقاط الحسينيين ومساندة خصمهم ابن سعود. وهو بلا شك على حق في آرائه، ولكنه عبّر عنها مفتقدًا ضبط النفس والانضباط المطلوب مما جعل من تميزه وخبرته بلا قيمة لدى الحكومة.

وصل من بعد إلى علو نجمه كمكتشف عربي، أصبح مسلمًا واستقر بالعربية السعودية على وضع يقارب المستشار المالي لابن سعود. خلال هذه الفترة، كرس غالب وقته لمصالحه الخاصة ولكنه ظل مع ذلك مصدر إزعاج لحكومتنا في ما يتعلق بسياستها العربية. أتخيل أن ممارساته السياسية تكون ـ وقد كانت كذلك على الدوام ـ ممارسة تضعه في خانة جناح اليسار. وإذا كانت ذاكرتي صحيحة فقد أثار الفضول مع دكتور دالتون حول مصر والسعودية خلال فترة حكومة العمال قصيرة العمر.

سترى كذلك، أن فيلبي وآراءه كانا شيئًا كريهًا، ولكن كل ذلك لا يبرهن بأنه لم يكن دقيقًا أو ممتلكًا لبعد النظر. أنا عن نفسي، ورغم أني رأيته مرات قليلة في إنكلترا والهند والسعودية في السنوات الأخيرة، وجدت أن من الممكن مسايرته ولا أعتقد أنه بلا ولاء، وإن كان وبتجريد شديد مغرور لا يحتمل.

والآن، فالأمر المثير للفضول والاستغراب هو أن ابنه وهو الشخص الذي أعتقد أن فيلبي يرجع إليه في إشارته باسم «كيم» في أحد خطاباته، الموجودة لدينا، هو، أي كيم أحد ضباطنا بوزارة الدفاع. وبتلك الصفة والموقع قابلت كيم مرة أو مرتين ووجدته يجمع بين البراعة والقدرة والسحر. وقد أخبرني بنفسه أن والده قد خفّف من حدة قوة واندفاع آرائه في السنوات القليلة الماضية، ولكن لا يبدو الحال كذلك في خطاباته والتقدير هنا يعود لي. وبالطبع فإن فيلبي الشاب[1] ظل

(1) الإشارة لكيم.

بالقسم D'S لفترة طويلة قبل أن يكون هناك أي سؤال حول أيلولة القسم إلى دالتون، ولكن، وبما أن ذلك قد حدث بالمصادفة، فإن فيلبي الابن سيجد نفسه تحت تعليمات رجل معروف لأبيه، وأعتقد أن للأخير ـ دالتون ـ عددًا من المعاملات شبه السرية مع فيلبي. وقد أشرت إلى فيلبي الابن لأنني أعتقد، وببساطة، أن هذه الإشارة ستجعل من الصعب عليك اتخاذ إجراءات قمعية ضد أبيه.

أخشى أن يكون هذا التوضيح معقدًا، ولكنه يظل طريقتي الوحيدة لإيضاح الصعوبة التي يمثلها سانت جون فيلبي. لا أظن أنه بلا ولاء، وأظن أن من الأهمية العاجلة جدًّا أن لا نكلف أو نحمل الرجل مظالم أكثر، في المقابل أشعر أن هذه حالة ستكون فيها وزارة الخارجية والحكومة مسرورتين برؤيتك تستخدم تكتيكات اليد القوية. وأخيرًا، ومع هذه المشكلة غير المريحة، علي أن أترك لك فضاء التعامل.

مخلصك

توقيع غير واضح

* على الوثيقة نفسها تعليق يقرأ:

الكابتن ج. م. ليديل

M.I.5

زوجة فيلبي دورا في جونسون، ابنة مسؤول بالسكك الحديدية الهندية رفيقة طفولة لزوجتي. وهي امرأة شابة هندية ـ إنكليزية. لا علاقة لها بالسياسة، لاعبة تنس، ورغم

أنها سافرت مرة أو مرتين إلى السعودية بهدف رؤية زوجها فإنها تخلت عن حياته الأسرية أو خرجت منها وفق رؤيتي لها آخر مرة بالمصادفة في مصرفي. ولكن، ومن الخطابات المتبادلة يبدو أن الأسرة قد توحدت مرة أخرى.

الفصل الثالث

الملك عبدالعزيز والعرب بعيون وقلم فيلبي

مقدمة:

نحن هنا أمام قلم هاري سانت جون فيلبي، هذه مقالة كتبها بعنوان «من الأركان الأربعة.. مكة والعرب..» قبل نحو ثمانين عامًا. سخّرها لتوضيح الفروق بين الحضارة العربية والغربية وبمنظور منفتح يجعل منها صالحة إلى اليوم. وسجل فيها، وبملكات الكاتب صورة قريبة للملك عبد العزيز معترفًا، ـأي الحاج عبد الله فيلبي ـ بأنه من أصحاب الحظوة لدى مؤسس السعودية، ولم يفت عليه أن يحلّل أسباب ومزايا نجاح الملك عبد العزيز في توحيد السعودية، ولفيلبي، وهذا ما لم نورده من قبل، ولع بالصحافة، وستحمل الحلقات القادمة بعضًا من نشاطه في هذا المجال. وتبدو لفيلبي، الشخصية المتسمة بشمول في المواهب، نزعة أخرى للتاريخ، ويجد القارئ هنا قصاصة حملّها عنوان أخبار السعودية..

مكة والعرب

غدًا أغادر إنكلترا في طريق عودتي إلى مكة، وسأكون بحلول أعياد الميلاد هنا في منزلي الصغير بحديقته الممتلئة بالأشجار والزهور المزدهرة طوال العام.

سأكون، وعلى الأقل، في حالة دفء. فنحن، في مكة، لا نعرف ماذا يعني الثلج، وبالطبع ليس لدينا ميزان إلا في المطبخ. في الصيف يصبح الطقس حارًا نوعًا ما، ولكن المجال أمامنا، نحن الذين نستطيع تفاديه، مفتوح للهروب إلى الجبال المحيطة بالطائف، جبال يبلغ ارتفاعها 7000-8000 قدم، بأودية خصبة، مليئة بأشجار الفواكه، وهناك المشمش في الربيع، ومعه التين بأشواكه اللؤلؤية في مقتبل الصيف، يتلوه العنب بنوعيته الجيدة والخوخ، وفوق كل ذلك الرمان. ويقال إن رمان الطائف هو الأفضل في العالم، هكذا يقول مزارعوه، ولستُ متأكدًا ما إذا كان ذلك صحيحًا.

وأكثر ما يشدّ الانتباه، في الحياة العادية من يوم إلى يوم بالسعودية، هو ما يمكن أن تسميه الطقوس، سواء كان في المدن أو الصحراء، ولأخذ مثال، فالجميع يشربون القهوة بدون سكر، فيما لا يحلم عربي بشرب الشاي بدونه. ويعتبر وصول الضيف إشارة أوتوماتيكية لإعداد احتفال ومائدة، حتى بالنسبة لرب منزل لم يكن قد وجد عشاءه لأسباب اقتصادية. وفي العادة، وحين يصل الضيف مرهقًا من رحلة طويلة، فإنه يذهب إلى السرير قبل أن يكون العشاء حاضرًا، ولكنه يصحو على نداء المضيف وحده. فإذا

ما كان قد وصل بجمل أو حصان، فإن أول فكرة تطرق ذهن مضيفه هو أعلافهما، وإذا كان معه من يخدمه في صحبته، فإنهم يشاركون سيدهم الضيف درجة الحفاوة والكرم نفسها من دون تمييز على خلفية المكانة أو الجهة.

ويوم العربي مقسَّم إلى أجزاء أو وحدات حيوية، فهناك أوقات الصلوات الخمس اليومية بأوقاتها المعلومة، وهناك عمل اليوم العادي، أكان بالمكتب أو حراسة المتجر أو ممارسة التجارة، وكل هذا النشاط يمتد من الفجر إلى الظهر، ليصبح الرجل بعدها حرًّا في التواصل مع دائرته المحلية إلى صلاة العصر حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، ومن ذلك الوقت وإلى صلاة المغرب يزداد النشاط في التسوق أو تبادل الزيارات بين الأصدقاء أو المعارف. ولا تشارك المرأة في السعودية في حياة الرجل العامة، ولحرمة المنازل حمايتها الغيورة، ومثل الرجل الإنكليزي في ما قبل عصر التلفون، فالعربي يزعم بصدق أن «بيته هو قلعته».

ولا يعني له شكل أو مكان ذلك المنزل إلا القليل، فقد يكون المنزل في المدن شقة أو قصرًا فخمًا، أو ربما مزيجًا من الصفيح والخشب والقضبان. أما في الصحراء فقد يكون خيمة سوداء ضخمة أو مؤقتة، من شاكلة التي يسكنها الشيوخ، مصنوعة من صوف الغنم أو الضأن، بنسج يدوي من النساء، أو مظلات صغيرة من المواد نفسها لا تزيد في حجمها عن خيم المعسكرات المؤقتة والمألوفة لدى جنودنا. أما في المناطق الجبلية فقد يكون المنزل كهفًا على جانب الجبل أو خيمة

مكشوفة من مواد بناء خشنة. ولكن، وأيًا كان حجم أو شكل مثل هذا المنزل، فهو بيت العائلة، ومركز الحياة الداخلية التي نمت عبر القرون من دون حاجة إلى التغيير أو الإثارة.

والسعودية تشبه دول الدنيا في كل المجالات إلا في أمر واحد، مناخها هادئ، لا يكون أبدًا شديد البرودة أو شديد الحرارة. وتقدم صحراؤها عشبًا وكلأً بتكلفة رخيصة لقطعان الماشية التي تشكل مخزون التجارة في البلاد. فيما تقدم وديانها، وبلا مقابل، كل الوقود المطلوب للمطبخ والتدفئة. وقليلًا ما تمطر سماؤها، ومن هنا فلا أهمية للمعاطف والمظلات. ومشكلتها الوحيدة هي الماء.

وهو العامل المسيطر في الحياة الصحراوية، فالعربي يتحرك من بئر إلى بئر، وفي بعض الأحيان يجد واحدة قد نضبت فيتجه إلى أخرى. وهو لا يفكر في الزهور والمناظر الجميلة، وإنما فقط في الماء الذي يضمن ويؤكد نعيم المجتمع لرجال أشداء ونساء جميلات.

أما الجفاف فهو عدو عظيم، فالعربي يركز كل عنايته على أغنامه وضأنه وجماله، وكل شيء يسير بالنسبة له على ما يرام ما دامت قطعانه تحصل على مائها وعشبها. وقد اعتاد الرجل وأسرته الصمود، من دون أن يجأروا بالشكوى، أمام الطوارئ القصيرة المحتملة. فهناك وفي الغالب الأعم يكون اللبن، ولا شيء غيره، هو القادر على إبقاء الحياة من يوم إلى يوم في نهاية المطاف. ولذلك،

وطالما كان هناك لبن، فلا مكان للشكوى. ولكن إمداد اللبن يعتمد على طبيعة العشب والكلأ، وحينما يتوافرا، يشدّ العربي حزامه ويبدأ في الحديث عن الأيام الجميلة في الماضي، وتلك القادمة في المستقبل. ولكن الذي يحزنه هو أن يرى ضمور سنام بعيره أو تثاقل خطاه أو أن يسمع عواء الجوع من ماشيته، ولذلك فهو يصلي للاستسقاء، وحين يُستجاب لدعائه، فإنه يسعد كما تسعد إبله وتثب بالفرح قطعان ماشيته.

إنه الأعرابي الذي وفي زمن ما بنى قلاعه في إسبانيا، وخطط لأن يبيع الفائض من الألبان والزبد في المدن الكبرى، والفائض من خرافه لأضاحي الحج، ليشتري بعدها الملابس والحلي والأقراط لزوجته وأطفاله ليشع الفرح في معسكر الصحراء حين يعود أدراجه لمنزله.

مضت الآن ثماني سنوات تقريبًا منذ أن أصبحت مواطنًا بمكة، ومثلما كانت روما بالنسبة لسانت بول، فمكة بالحقيقة مدينة المدن، وكما قال المثل إن كل الطرق تؤدي إلى روما، فذلك يصدق على مكة، فهي قبلة العالم الإسلامي، وإنها لحقيقة كون كل العيون المسلمة تتجه إلى مكة كل يوم، ليس مرة واحدة، وإنما خمس مرات كل يوم. ففي كل يوم من حياتهم، يتجه المئتا مليون مسلم في العالم إلى مكة حينما يؤدون صلواتهم، ومرة كل عام يتجه مئتا ألف منهم، ومن كل ركن في الدنيا، للمشاركة في الحج الأكبر الذي شرعه محمد قبل أكثر من 1300 عام. وإنه لفخر جلالة ملك السعودية،

حارس المناطق المقدسة في السعودية، أن شعيرة الحج لا تزال تمارس تمامًا الطريقة نفسها التي كانت تؤدى بها أيام الرسول محمد ﷺ.

صحيح أن السيارات والطائرات جعلت أداء الحج الآن أكثر سهولة عما كان عليه، ولكن المهم فوق ذلك، ومن وجهة نظرهم، هو السلام الذي بسطه الملك الحالي على بلاد لم تعرف أبدًا مثل تلك المزية المترفة قبل عصره. ومع ذلك فالملك الذي أمدّ الحجاج بكل هذه الأشكال المريحة من المواصلات لتسهيل حجهم، يقصد هو نفسه الحج على ظهر بعير كما فعل الرسول في أيامه، ويرتدي الملابس نفسها البسيطة مثله مثل سائر الحجاج الفقراء، أي قطعتي الإحرام كما هي موصوفة في التراث الديني، وبلا شيء على رأسه ليحميه من الشمس خلال طقوس تمتد من الظهر إلى مغيب الشمس.

سيجيء الحج بعد عودتي لمكة، ليجيء حجي الثامن والناجح على التوالي، وأنا أنظر لذلك بمنتهى السعادة، لأني سأؤديه في رفقة الملك، ومع ذلك الحشد المتشح بالبياض في رفقته، والجميع على ظهر الجمال. ومن الصعب تخيل احتفاء أكثر تأثيرًا وتعبيرًا من مشهد مثل هذا، خاصة في العودة من الرحلة مع حلول الظلام حين يهرع الآلاف في ملابسهم البيضاء إلى ظهور الجمال بحركة العلو والهبوط، مثل موكب أشباح يشق طريقه عبر الوادي متسارعًا بين جبال مكة. وفي مزدلفة، منتصف الطريق إلى مكة،

نتوقف للعشاء والمبيت، وبعد أن يتناول الملك عشاءه مع مرافقيه، تتفرق حاشيته على الطرق السريعة والأزقة لدعوة الحجاج الفقراء للقضاء على بقايا طعام المائدة الملكية على كثرتها ووفرتها. لم يكن أحد ليشعر بالجوع في أيام الحج تلك، فالفقراء يحظون بعناية جيدة، وفي الحقيقة، فذلك هو السائد في السعودية، فلا أحد يمكن أن يجوع رغم أن هناك فقراء كثيرين.

ربما لا تكون الحياة في مكة مختلفة جدًّا عنها في مكان آخر، وهي تتجه لأن تتخذ من الحرم المكي مركزها، ومن الحجاج الذين يأتون لزيارتها. ولكن الحجاج أيضًا لا يختلفون كثيرًا عن السياح. كما أن المواقع المحلية المتعددة المرتبطة بالتقاليد أو الأعراف بتاريخ الإسلام المبكر ليست مختلفة عن المناظر التي يحتشد الأميركيون والأوروبيون لرؤيتها في مدن مثل القاهرة وروما واسطنبول. فالحاج الجيد أو السيئ يتعامل اقتصاديًّا مع موسم سياحي جيد أو سيئ. فوكالات السياحة من كل نوع، ومستطلعو التسويق، ومستبدلو العملات وبائعو التحف يبذلون الجهد لإغراء الزائر بإنفاق أمواله. والفرق بين مكة وأي مركز سياحي آخر، أنه لا توجد بمكة مساحة للعبث، فليست هناك دور سينما أو مسارح أو ملاه ليلية يلجأ إليها السائح في ساعات الظلام، فاليوم يبدأ مع الفجر بالصلاة بالمسجد الحرام وينتهي بعد ساعتين من الغروب بصلوات مماثلة. والليل مكرس للنوم، فيما عداه بالقصر، حيث يجلس الملك إلى ساعاته المتأخرة لمناقشة

شؤون الدولة وأخبار العالم مع وزرائه ومع أولئك الذين يتمتعون بحظوة خاصة وإذن خاص بالدخول. الملك نفسه ينام، ولكن قليلًا ، ولديه حاجة قليلة للنوم. وهو أكثر رجل يعمل بشدة في مملكته، ولا يعجز أصحاب الحظوة، مثلي، في الاعتراف والتعرف على عظمة الرجل الضرورية والمماثلة والذي صنع السعودية الحديثة. وللعلم، فالبساطة هي المفتاح لشخصية الملك عبد العزيز، فليس للرجل ود مع الطقوس والمراسم والتباهي والتفاخر، لا يكون على الإطلاق سعيدًا أكثر من جلوسه أمام العامة في الصالة الكبرى بقصره، حيث يكون بوسع كل مواطنيه الاقتراب منه أو اللجوء إليه، وفي مثل هذه المناسبات، يكون بين الحضور أعضاء كثيرون من عائلته الكبيرة ـ مثل إخوانه وأبنائه، وبنات أخوانه وأخواته، وأعمامه، وأخواله ـ وحين يعلن عن الغداء أو العشاء فكل الحاضرين للمناسبة على الترحاب في ضيافته وكرمه. يقول الملك بعد الإعلان: «الطعام. أدعو الذين يشعرون بالجوع أن يأتوا معي..» ولذلك نصطف جميعنا خلفه إلى صالة الطعام في شقفه الخاصة لنشاركه المأدبة، وهي، وللعلم، بسيطة ولكنها مطهوة بامتياز، خدمتها على أطباق كبيرة مع سجاد من جريد النخل على الأرضيات. يجلس كل إنسان عليه، الملك وضيوفه، وأتباعه، وخدامه.

قد يبدو كل ذلك سهلًا ومثاليًا، ولكني لا أريد من أحد أن يعتقد أن للملك وقتًا سهلًا للتمتع بذلك، لأننا نرى اليوم، بعيون اليوم، نتائج حياة بحالها من الكفاح والشغب. فهناك

الآن أربعون عامًا تقريبًا، منذ أن كان ابن سعود شابًا في المنفى، عقد العزم على صناعة مستقبله كملك. والعرب ليسوا شعبًا سهلًا للحاكم أو الحكم. ومنظومتهم القبلية بالضرورة طاردة وفوضوية، والحرب هي جوهر الحياة القبلية. وإنجاز ابن سعود العظيم يكمن في حقيقة أنه فطم القبائل البدوية في شبه القارة السعودية بنقلهم من تمردهم وشغبهم وتحويل طاقاتهم العظيمة إلى مسارات الإسلام. والسعودية، وبالحقيقة، دولة مختلفة تمامًا عما كانت عليه حينما زرتها قبل عشرين عامًا، ويعود فضل هذا التحول إلى ابن سعود.

ففي تلك الأيام كانت الحياة العربية على حال وجب لها أن تكون عليه كما أيام إبراهيم والحياة الأبوية القديمة، حيث الجمل لا يزال، كما هو الحال فيما بعد، وسيلة الحركة الوحيدة. وانتقال الإشاعات الصحراوية هي وسيلة الاتصال الوحيدة، ولذلك، فبوسع المتمرد في ولايات الأطراف أن يحقق بداياته لعدة شهور قبل أن يكون للحكومة المركزية أية فرصة للتعامل معه، أو مجاراته. ولكن ابن سعود اخترع أسلوبًا لمواجهة الحكومة البدوية لمشاكلها، بمعدل يفوق الوصف، وأن يضرب بقوة حينما يضرب، إذا كانت هناك ضرورة لتضرب. ولقد كانت جراحاته الكثيرة كافية ليبرهن أنه قد حقق نجاحاته في الحرب. ومع ذلك، فالسلام كان طموحه، والدليل، أن الدائرة الداخلية من المحكمة الملكية تتألف كليًا من أعداء قدامى يعتبرون الآن في عداد أخلص الأصدقاء للملك. وللعلم، فرافع الراية

السعودية اليوم، الأكثر مسؤولية، والذي على رأس أخطر موقع في الجيش العربي، كان في السابق هو نفسه حامل راية حكم ابن رشيد.

وحتى في السعودية، التي اشتهرت بالتفاعل والعزلة، فالتقدم هو حاكم اليوم، فالإسلام، وبأية حال، لا ينكمش، أو يتوارى، عن المقارنة بالأديان الأخرى في محور تعاليمه الأخلاقية. وتلك التعاليم هي بمثابة المرتكز للسعودية، وهو المقبول لدى العرب كقانون بحكم حياتهم.

والملك هو مترجم ذلك القانون، ومع ذلك، فلذلك القانون، ومن نفسه، السلطة المطلقة كما هو موضعها خصيصًا في دستور السعودية. وقد تنظر أوروبا بانتقاد تجاه مجالات محددة في ذلك القانون، وعلى سبيل المثال، تعدد الزوجات، وسهولة عملية الطلاق، مثلما ينظر العرب باستغراب وشك تجاه معالم خاصة في الحضارة الأوروبية. ففي السعودية لا يزال الدين هو المحرك الأساس للسلوك الإنساني، وفي بساطته المطلقة تحدٍّ لتعقيدات الحضارة الأوروبية. وعلى العموم، فابن سعود على استعداد لقبول وتقديم أي شيء وكل شيء مفيد لبلاده، يكون بوسع الحضارة الأوروبية تقديمه.

والسينما، على سبيل المثال، ومع كل احتمالات تقديمها لمسائل تربوية عظيمة، محرومة من دخول السعودية على خلفية معالمها الخلافية بالبديهة. بل حتى الراديو، وعلى خلفية تكريسه المفرط على الموسيقى العبثية، تلقى اعترافًا بطيئًا

كنتيجة لامتلاكه مزايا عظيمة أكثر من الإخفاقات. وأنا أتحدث في هذه الليلة وعلى علم بأن ملاحظاتي قد لقيت الاستماع وتمّ تسجيلها بالسعودية. وبعد دقائق قليلة بعد خلاصة هذا الحديث، فسيستمع جلالة الملك بنفسه إلى ترجمة له في مجلس مفتوح، وإذا كنت قد ضللت عن مسار الحقيقة، فسأحاط بأخطائي بعد عودتي لمكة.

كيف رفض الملك عبد العزيز العدوان على العراق فأغضب الدويش

هنا نجد الحاج فيلبي يمزج في تاريخه لأخبار السعودية بين أخبار الحج، والتحركات الدبلوماسية، ويسجل أن فرنسا قد سبقت بريطانيا في الاعتراف بتحول أوضاع السعودية، فيما يكشف في صدر الوثيقة عن رفض الملك عبد العزيز لأي عدوان على العراق على خلفية الخلاف حول الحصون الحدودية، وكيف تمكن من إخماد تمرد فيصل الدويش.

وثيقة بلا رقم.. عن خواطره

هـ. سانت جون فيلبي

جدة: 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1929

لا يزال الملك في عاصمته الصحراوية الرياض، وهو على وشك أن يتحرك شرقًا إلى مديرية حسا (HASA)[1] حيث يقود ابنه الأكبر سعود حملة مستمرة لعدة أشهر لإخماد حركة

(1) هكذا وردت في مذكرته.

العصيان التي نظمها فيصل الدويش في معارضته لرفض الملك بالسماح بأي عدوان على العراق فيما يتعلق بالخلاف الذي لم تتمّ تسويته حول الحصون الواقعة على الحدود. تقول الأخبار إن ابن فيصل، واسمه عبد العزيز ومعه 700 رجل اشتركوا في تعكير السلام مؤخرًا، وقد حوصروا وقتلوا إلى آخر رجل فيهم بواسطة قوات الملك، ولكن فيصل نفسه، وبرغم الشائعات التي تذهب إلى العكس، لا يزال على قيد الحياة. ولذلك، ومن ثم، فالترتيبات النشطة التي دبرها الملك تهدف إلى إزاحته ومعه خطره على السلام نهائيًّا من المشهد السياسي.

من المتوقع أن يعود الملك للحجاز في حوالي شهر شباط/فبراير، فيما يذهب التوقع إلى وصول أول فوج من الحجاج (من يافا) إلى جدة في ظرف أسبوع، وبذلك يدشنون موسم الحج ليواكب احتفالات نيسان/أبريل القادم. توقعات الحج لهذا العام تبدو مواتية، حيث من المتوقع وصول 50,000 حاج من جزر الهند الشرقية وحدها. ولذلك فالعداد الكلي للحجاج من وراء البحار سيكون فوق الـ 100,000، مع توقعات بحصة كبيرة من مصر، فيما بدا أن مجموعة بنك مصر قد تولت مهمة نقل الحجاج لعدة سنوات.

على صعيد الدوائر الدبلوماسية، يكون أهم حدث يستحق التعجيل هو قرار الحكومة الفرنسية رفع مستوى تمثيلها في جدة من قنصلية وقنصل إلى مندوب سامٍ. تم تعيين م. ميغريت الذي شغل منصب القنصل منذ نيسان/إبريل الماضي قائمًا بالأعمال

في انتظار التعيين الرسمي ليصبح أول وزير فرنسي في بلاط ابن سعود، ومن المتوقع أن يقدم خلال أيام قليلة أوراق اعتماده إلى صاحب السمو الأمير فيصل، والموجود بجدة في زيارة لعدة أيام. وبذلك تكون الحكومة الفرنسية قد بادرت بالاعتراف بتحول أوضاع السعودية. ومن المأمول أن لا تفقد الحكومة البريطانية الزمن في اتباع الطريق نفسه. وسيبقى مذكورًا أن هذه المسألة قد ظلت قيد النظر في الصيف الماضي حينما كان الشيخ حافظ، الذي عاد إلى الحجاز مستشفيًا من مرض طويل، غادر إلى الكويت في مهمة أسرية. وسيقابل بلا شك الملك الذي لن يكون بعيدًا، ولكن، من غير المعروف متى سيعود إلى لندن. تقرر رسميًا الآن أن يكون يوم 8 كانون الثاني/يناير من الآن فصاعدًا معروفًا كيوم تتويج الملك عبد العزيز، الذي اعترف به ملكًا للحجاز في المسجد الحرام بمكة يوم 8 كانون الثاني/يناير 1926. من المعلوم أن احتفالًا ضخمًا سيقام بمكة في ذكرى التتويج الرابعة، فيما سيزور الأمير فيصل جدة مساء لحضور مأدبة رسمية.

الفصل الرابع

فيلبي يُغضب ملك اليمن
ويثير فضول العطاس

مقدمة :

لثلاثة أعوام 1936-1937-1938، أقام الحاج عبد الله فيلبي الدنيا ولم يقعدها في محميات الحكومة البريطانية باليمن، فغضب منه المندوبون الساميون البريطانيون، وكذلك ملك اليمن، ووشى به سلطان المكلا وشهر، وكل ذلك من جرّاء رحلة قام بها بعلم الملك عبد العزيز إلى تلك المناطق لاستكشاف إنشاء طرق تربط جنوب المملكة بمكة.

صحيح أن ما وراء السطور في هذه الزوبعة يوحي بتخوف بريطانيا على وجودها في الجنوب من دولة جديدة في السعودية، تعيش زخم الانتصار الطازج، ولكن الصحيح أيضًا أن شخصية الحاج عبد الله فيلبي الخلافية وراء ذلك، بدليل أن بريطانيا نفسها وإن هادنته في مراسلات هذه الحلقة، إنما تخالف آراء مخابراتها التي وردت في الفصل الثاني، والتي تجيء تاريخيًا بعد أحداث هذه الحلقة، وذلك بسبب مواقف

فيلبي من الحرب العالمية الثانية على النحو الذي حمله الفصل الثاني بأحداثه المحصورة في عام 1940.

يشبوم تتهمه بالحماقة

وثيقة رقم A21

التاريخ: 26 آب/أغسطس 1936

الموضوع: ملخص المخابرات السياسية، عدن، رقم 500 عن الأسبوع المنتهي في 26 آب/أغسطس 1936

5979. أفاد الضابط السياسي الثاني من يشبوم بأنه قد أحيط، بأن الحاج عبد الله فيلبي، الرحالة المقيم بجدة، قد وصل إلى شبوة بمحمية عدن عبر نجران واتجه من هناك إلى شيبان في حضرموت. وقيل إنه ينوي التوجه إلى المكلا والحجاز في محمية العوالق العليا. أضاف أن فيلبي في رفقة مجموعة من السعوديين وقيل إنهم يحملون بندقيتين آليتين إلى جانب أشياء أخرى. قيل أيضًا إن عناصر من مرافقيه أعلنوا أنهم على استعداد لمحاربة أي أناس يريدون الحرب. وإذا كان لمعلومات الضابط السياسي الثاني أن تكون دقيقة، فإن دخول فيلبي للمحمية، وبصفة خاصة تحركاته المستقبلية، واضعين في الاعتبار أوضاع مرافقيه، من المحتمل أن يسبّب قدرًا من الإرباك لهذه الإدارة، التي لم يكن لها علم مسبق بهذا الاستهداف الذي يتضمن فعلًا أحمقَ وجافًا. تمّ تبادل الاتصالات البرقية حول هذا الموضوع مع وزير الدولة للمستعمرات في حكومة جلالة الملك.

إلى المكلا مجبرًا

وثيقة رقم: A22

التاريخ: 14 أيلول/سبتمبر 1936

الموضوع: ملخص المخابرات السياسية، عدن، رقم 500 عن الأسبوع المنتهي في 26 آب/أغسطس 1936

5979. أجبر الحاج عبد الله فيلبي مع اثنين من مرافقيه على الاتجاه إلى المكلا عبر طارم وشهر، لأنه يريد قطع غيار مهمة لإحدى سياراته، إحدى هذه القطع محور خلفي لإطار السيارة التي قيل إنها معطوبة قرب شيبان. عاد بقية مرافقيه إلى شبوة، تمّ إبلاغه بأن عليه أن يخبر مكتب المقيم بخططه المستقبلية. أحيط أيضًا بأن شبوة وحضرموت جزء من محمية عدن، وأنه إذا كان أمر نيته التوجه إلى المكلا صحيح، فإن عليه أن يحيط المقيم أولًا ثم يستفسر عما إذا كان ذلك مقبولًا سياسيًا.

التفريق بينه وبين حراسته السعودية

وثيقة رقم: A23

التاريخ: 22 أيلول/سبتمبر 1936

الموضوع: ملخص المخابرات السياسية رقم 502 عن الأسبوع المنتهي في 9 أيلول/سبتمبر 1936

6003. لا يزال الحاج عبد الله فيلبي في المكلا ينتظر قطع الغيار لسيارته، ومن المقرر وصولها له يوم الخميس 10 أيلول/سبتمبر، يقال إنه أخبر حضرميين بعينهم بالمكلا أن

الملك ابن سعود ينوي بناء طريق من حضرموت إلى مكة. ويقال إن هذه المعلومة قد أنتجت ترحيبًا غير قليل في الدوائر الحضرمية. أرسل الممثل المقيم بالإنابة هنا، وبموافقة حكومة جلالة الملك، برقية لاسلكية إلى المستر فيلبي طلب منه فيها سحب السعوديين المسلحين في رفقته من محمية عدن بأسرع فرصة ممكنة، محيطًا إياه، بأنه وفي أية واقعة، يكون من الأفضل له أن يحيط هذا المقيم أولًا قبل إتمام رحلته. أحاط فيلبي الممثل بالإنابة باحتمال أن تكون عودته عن طريق بيهان، وقد تمّت إعادة تذكيره بأن بيهان وقبيلة بلحارث في الشمال الشرقي هما أيضًا تحت حماية الحكومة البريطانية، وأحيط كذلك بأن على السعوديين المسلحين عدم دخول أراضي بيهان بما فيها بلحارث، إلا إذا كان السفر في جزء من الأخيرة ضروريًا لأسباب اضطرارية، أما إذا كان يرغب هو شخصيًا في زيارة بيهان من دون رفقة السعوديين فعليه إحاطة هذا المكتب مسبقًا.

وشاية من سلطان شهر

وثيقة رقم: A25

التاريخ: 22 تشرين الأول/أكتوبر 1936

كاتب الأصل: عدن

الموضوع ملخص المخابرات السياسية رقم 506 عن الأسبوع المنتهي في 7 تشرين الأول/أكتوبر 1936

6052. تسلمنا تقريرًا من فخامة سلطان شهر والمكلا يفيد

بأن المستر فيلبي نشر دعاية في صالح الحكومة السعودية، وزعم أن رجال القبائل ما وراء البر انخرطوا جميعهم في اتفاقية مع الحكومة السعودية وأن الحكومة السعودية على استعداد لتقديم مساعدات إلى حضرموت إذا طالب الناس بها. أكّد فخامة السلطان لمقر البعثة هنا بأنه لا توجد علاقة بينه وبين الحكومة السعودية وأنه لا يرغب في خلقها، وأنه يرحب بزيارة أي بعثة لحضرموت بعد حصولها على إذن من الحكومة البريطانية ومنه، وأنه لا يرحب بالزيارات التي قامت بها البعثات المسلحة لحضرموت من دون إذن مسبق. أفاد السلطان أيضًا أن لجالية ارشادي IRSHADI في حضرموت وجافا JAVA[1]، بعض الروابط مع الحكومة السعودية وأن معظم هذه الجالية (أو القبيلة) من أهل كثير، وربما تكون لهم يد في وصول فيلبي إلى حضرموت، لأنه ومع الوقت الذي وصل فيه فيلبي إلى حضرموت، ظهرت إفادات من إرشادي كثير من الساحل وفي داخل حضرموت تحتوي على نداء صريح للمواطنين بالانضمام لعَلم الحكومة السعودية.

يعود برفقة لاجئين وزعم برشاوى لحضرموت

وثيقة رقم: A28

التاريخ: 28 تشرين الأول/أكتوبر 1936

---

(1) هكذا وردت في الوثيقة وأغلب الظن أن الأحرف الإنكليزية لا تشير لجالية وإنما قبيلة، في مقابل أن الاسم بالضرورة ليس «إرشادي» و«جافا» وإنما اسمان قريبان من هذه الأحرف.

الموضوع: فيلبي

6095 (المرجع فقرة 5650).

أفادت تقارير بأن أحمد ناصر القرضاي AL QARDA'I ويصحبة شخص آخر ذهبوا إلى شاسوه (SHASWA) وظهروا أمام المستر فيلبي والمسؤول السعودي القائم بمهمة مرافقته وأخذا اللجوء ورافقاهما عائدين إلى الحجاز.

ووفق التقارير الواردة إلى الممثل المقيم بالإنابة، من فخامة سلطان لحج فإن هناك انطباعًا عامًّا في المحمية بأن فيلبي والمرافقين السعوديين المسلحين في رفقته اتجهوا إلى شبوة، فيما ذهب فيلبي إلى حضرموت بإذن من حكومة جلالة الملك البريطانية. وقد صدرت إشارة في جريدة المحمية الرسمية (غازيت) بنفي ذلك مؤكدة أن حكومة جلالة الملك لا تقرّ بأية حال التقارير الصادرة عن الرؤساء المحليين هنا.

6100 (المرجع فقرة 6066) أفاد الكاتب السياسي للحديدة بأن سيد يحيى الحجي، أمير الزيدية، أخبره بأن فيلبي وبرفقة فرقة من 25 سعوديًا قد زاروا حضرموت وتبعه عبد الله بن سليمان الذي قيل إنه وزير المالية السعودي. قال سيد يحيى إن فيلبي قدم هدايا وأموالًا إلى رؤساء القبائل بحضرموت، وإنه (أي سيد يحيى) أعتقد أن هذه مؤشرات تفيد بأن الحكومة البريطانية مع تسليم (وطن يحيى) وحضرموت إلى الملك ابن سعود. وفي هذا، أضاف سيد يحيى، ضررًا بمصالح ملك اليمن.

فيلبي بين ملكي السعودية واليمن

وثيقة رقم B30

التاريخ: 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1936

الموضوع: ملخص المخابرات السياسية رقم 510 للأسبوع المنتهي في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1936 الجزء الثاني: اليمن

6113 (المرجع فقرة 6100). وجه ملك اليمن خطابًا بتاريخ 21 تشرين الأول/أكتوبر إلى المقر يلفت فيه الانتباه إلى الرحلة الأخيرة للمستر فيلبي عبر نجران ومأرب والجوف قائلًا إن هذه الواقعة قد سبّبت عدم ارتياح في سائر أجزاء اليمن. الملك أضاف أن فيلبي زعم أنه ممثل للحكومة البريطانية، وبذلك أكسب نفسه مزايا لم يكن ليستحقها بغير تلك الصفة. ومضى الملك إلى القول إن فيلبي أشاع دعاية مناهضة لليمن ودخل مأرب والجوف قائلًا إنه تحت حماية حكومة جلالة الملك وإنه وبدخوله الأراضي اليمنية من غير إذن يكون قد خرق الأنظمة العالمية. ويأمل الملك أن تدين حكومة جلالة الملك البريطانية خطوة فيلبي.

وأفادت تقارير هنا بأن ملك اليمن قد اشتكى للملك ابن سعود عن خطأ بإرسال فيلبي إلى حضرموت بقصد تعبئة الناس لجهة أن يصبحوا تحت حماية الحكومة السعودية. قيل إن الملك ابن سعود ردّ بأن فيلبي زار حضرموت كمسافر محض وأن الـ 25 سعوديًا الذين صحبوه كانوا مرافقين. ويقال إن هذا الرد قد هدّأ ملك اليمن إلى حدّ ما.

بلبلة حول مرخة بسبب فيلبي

وثيقة رقم: A30

التاريخ: 10 كانون الأول/ديسمبر 1936

كاتب الأصل: المقر.. عدن

الموضوع: ملخص المخابرات السياسية للأسبوع المنتهي في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1936.

6146. (المرجع فقرة 6095). أبلغ حاكم (شريف) بيهان أن أحمد ناصر القرضاي عاد من نجران إلى مرخة في أول تشرين الثاني/نوفمبر بتعليمات من الملك عبد العزيز ليحضّ وينصح أهل مرخة أن يكونوا إما تحت حماية السعودية أو الحكومة البريطانية.

تمّ توجيه الشكر لحاكم (شريف) بيجان على تقريره وأحيط بأن مرخة تقع سلفًا تحت حماية حكومة جلالة الملك بموجب معاهدة مع سلطان العوالق ALLAQI، وأنه ليست لدى الحكومة البريطانية أي نية لتسليم مرخة أو أي جزء من محمية عدن لقوة أجنبية أو خارجية ما دامت نصوص المعاهدة بين حكومة جلالة الملك والرؤساء الحاكمين في محمية عدن سارية المفعول. أحيط سلطان العوالق العليا (UPPER AULAQ) كذلك بما ورد أعلاه وطلبنا منه أن يمرر هذا إلى أهل مرخة مصحوبًا بتحذير مفاده أنه وإذا ما تآمروا مع قوة خارجية فإنهم سيجلبون على أنفسهم المشاكل، وأن يخبرهم كذلك بأن الملك ابن سعود صديق لحكومة جلالة الملك وله معها معاهدة، وأنه ليس للمستر فيلبي وضع

رسمي، وأنه قد دخل إلى محمية عدن بدون إذن وأنه مجرد مسافر، وأن عليهم أن لا يستمعوا إلى ملاحظات أناس غير مسؤولين.

العطاس يوسط فيلبي لدى الملك

وثيقة رقم: A38

التاريخ: 13 كانون الأول/ ديسمبر 1938

الموضوع: معلومات مستقاة من تقرير عن سيد حسن بن سالم العطاس حينما كان يقيم في جازان.

سافر مستر فيلبي في البلاد قبل عامين مع 70 جنديًا سعوديًا، وبما أنه اصطحب جنودًا سعوديين، فقد استنتجنا أن فيلبي واحد من الموثوقين لدى ابن سعود، ولذلك طلبنا منه أن ينقل رسالتنا إلى جلالة الملك ابن سعود ومفادها أن عليه أن يضمّ بلادنا إليه، ولكن الله وحده يعلم ما إذا كان فيلبي قد نقل رسالتنا إلى جلالته أم لا.

لقد صدقناه لأنه كان مصحوبًا بجنود سعوديين واعتقدنا أنه مسلم صادق، وخادم مخلص لابن سعود. وبما أن الإمام وابن سعود أهملا اتخاذ أي خطوة، وبما أنه لم يكن بالبلاد أي نظام، فقد استغل الإنكليز الفرصة، وبما أن بعض الشيوخ قد حولوا من مصلحتهم السياسية إلى ذلك الجانب، وكذلك بنتيجة أنهم حصلوا على السيطرة علينا. في الوقت الحالي، لم يخاطب أحد هذه الأوضاع السيئة. وهي تسير الآن بحذر وهناك إصلاحات عديدة قيد

الاعتبار، مثل الطرق والمستشفيات والمساعدات الطبية... إلخ. لا تمقت غالبية الجمهور هذا، ولكني علمت أن الرجال قلقون حول مستقبلهم، بما أنهم يعتقدون أن حريتهم ستضيع.

ملك اليمن.. قلق

وثيقة رقم: A24

كاتب الأصل: محمية عدن

التاريخ: 30 أيلول/سبتمبر 1936

الموضوع: ملخص تقرير المخابرات السياسية عن الأسبوع المنتهي في 16 أيلول/سبتمبر.

6016. في رد مستر فيلبي على برقية المفوض المقيم بالإنابة بتاريخ 7 أيلول/سبتمبر قال إن قطع غيار سيارته قد وصلت، وإنه لا ينوي زيارة بيهان وإنه يقترح الرحيل عن (الأرض المحتلة) بمجرد عودته إلى مرافقيه.

وثيقة رقم: A26

كاتب الأصل: محمية عدن

التاريخ: 14 تشرين الأول/أكتوبر 1936

الموضوع: ملخص المخابرات رقم 507 عن الأسبوع المنتهي في 14 تشرين الأول/أكتوبر. هناك إحاطات بأن الملك اليمني سمع أن فيلبي يقوم برحلة في حضرموت، وأن ذلك قد أثار فضوله، وهو يذهب إلى حدّ الظن بأن الحكومة

البريطانية وابن سعود قد وصلا إلى تفاهم حول مستقبل حضرموت.

وثيقة رقم: A27
التاريخ: 3 تشرين الثاني/نوفمبر 1936
من: مفوضية عدن

المستر فيلبي، وبرغم إحاطته بسحب مرافقيه من المحمية، يحاول عن عمد التوغل فيها أكثر.

الفصل الخامس

أسرار الاتفاقية السعودية ـ الفرنسية وتهاون بريطانيا الأولي تجاه وحدة المملكة

مقدمة:

لم تأت المخابرات البريطانية بجديد في تقييمها لفيلبي بأنه في عداد اليساريين، لأن منافحته، التي سبقت تقييم المخابرات بعشرة أعوام، لحكومة العمال واضحة في هذه المراسلات، التي يبدو خلالها كما لو أنه قد وجد حائط مبكاه، نراه هنا يراسل شخصًا اسمه ايور من أسرة صحيفة «دايلي هيرالد»، ويبثّه كل رؤاه السياسية وكل تعاطفه مع جهود وحروب السعودية التي انتهت بتتويج الملك عبد العزيز.

وكعادته، يتحدث بما يقول به عقله، وهو هنا يكشف خفايا المفاوضات الفرنسية السعودية وصولًا لمعاهدة جدة.

وينبّه فيلبي صديقه ايور في الرسالة الثانية إلى خطأ خط سياسي كانت الحكومة البريطانية على وشك اتخاذه يعكر توحيد السعودية، ويوشك أن يهادن آخر رموز التمرد ضد الملك عبد العزيز، وذلك في تناغم بما نادى به في الرسالة

الأولى بأن تسارع بريطانيا إلى رفع مستوى تمثيلها الدبلوماسي بجدة أسوة بفرنسا التي سبقتها.

في هذه المكاتبات ما يدعو بالفعل إلى تقدير غيرة من الحاج فيلبي على علاقات وطنه البريطاني، والدولة المسلمة التي تأويه، رغم أنه قد أدار ظهره في ما بعد لوطنه خلال الحرب العالمية، كرهًا بالحرب وليس حبًّا بهتلر، فجلب لنفسه المتاعب مع وطنه، ومع الملك عبد العزيز.

أسرار الاتفاقية السعودية ـ الفرنسية

جدة: السعودية

30 كانون الأول/ ديسمبر 1929

عزيزي ايور:

تأثرت كثيرًا بتسلمي برقيتك بأمانيك لي بمناسبة أعياد الميلاد وأطلب منك أن تنقل عميق شكري لأسرة صحيفة «دايلي هيرالد» وتنقل إليهم أمنياتي الطيبة بحلول عام جديد سعيد. يبدأ العام الجديد بالنسبة لنا هنا ببشائر خير كثيرة هي الأسعد تجاه صداقة حقيقية بين بريطانيا والسعودية. وأنا أكثر من سعيد حيث أتت الأخبار الجيدة والسعيدة، بعد قليل من خطابك الذي حمل التحذير والتشجيع فقررت حكومة جلالة الملك أن ترفع تمثيلها الدبلوماسي إلى درجة مندوب سام. حدث التغيير بداية من يوم 22 ونال أثرًا محمودًا لدى الرأي العام.

لا بدّ لي أن أشكرك على مرافعتك الناجحة في هذا الشأن، وأهنئ دالتون كذلك على دفعه ودعمه للأمر عن طريق طاحونة الاقتصاد والعقبات الأخرى. أظن أن بوند،

القائم بالأعمال الحالي سيبقى هنا بلا فائدة، وأملي المخلص ممتد لجهة أن يصرّ دالتون على اختيار دقيق لملء هذه الوظيفة، فالمعرفة الجيدة بالسعودية من المواصفات الملحة، مثلما هي مع الوزير الذي يجب عليه أن يكون في موضع يمكنه من التحدث إلى الملك، والذي يعرف فقط تلك اللغة. أما الأمنية الثانية فهي أن يكون الرجل القادم للوظيفة شخصية معروفة بمواقفها العالية، ويجب هنا، ومهما كانت التكاليف، أن نتجنب تعيين موظف مرؤوس من السلك الدبلوماسي.

اعترف أنه من الصعب التفكير في إنسان مناسب، ولكني أتخيل أن رونالد ستورز لن يقبل الوظيفة، فيما سيكون سمارت بالقاهرة رجلًا مناسبًا، أو لوك إذا أُبعد عن فلسطين، وفي الحالتين يكون قبولهما محل شك. وماذا عن راغلان الذي يبدو في التقاعد وقد يسعد بوظيفة رفيعة بالسعودية. سأحيطك إذا خطر لي اسم جديد، وإني على يقين أنك ستوافقني أن رجلًا جيدًا بالحقيقة لا بدّ أن يتمّ اختياره في أول تدشين لوظيفة رفيعة، وأن يُحاط بأن عليه البقاء فيها لمدة خمس سنوات على الأقل.

قدّم القائم بالأعمال الفرنسي أوراقه في الثاني من هذا الشهر، وسيصل في القريب قائم بالأعمال أو وزير إيراني، تمّ تقديم اسمه سلفًا للحكومة السعودية، إيطاليا تناقش الآن معاهدة ومن المفترض أن تصنع مفوضية حال اكتمالها. فرنسا أيضًا تعيش مخاض صناعة معاهدة، وفهمت، بصورة خاصة، أن نقاطًا عديدة تحملها المسودة الأولية محل نقاش نشيط.

وبالنظر للشكل العام، فالمسودة تتبع خطوط اتفاقيتنا مع جدة و(رجاء ليس هذا للنشر) تشكل النقاط التالية جدلًا :

1- لا تعتقد حكومة الحجاز أن اعترافًا رسميًا باستقلالها العام (باعتباره واقعًا) مع كرامتها أو أنه ضروري. ومع ذلك، يبدو لي، أنها لن تفقد شيئًا بإيراد مثل هذا النص المتعلق بمثل هذا الاعتراف، وهناك مواقف مماثلة من آخرين، مثل بلجيكا.

2- هناك شدّ بسيط حول الكيفية التي سيتم التعامل بها مع الحجاج الفرنسيين الموتى وطريقة تقرير مصيرهم. ولا تستلطف حكومة الحجاز الإجراءات التي حملت وصفها المادة الرابعة من معاهدة جدة. وأتخيل أن يصرف النظر عن هذه المسألة باعتبار أن التسليم النهائي لمثل هذه الممتلكات الفرنسية للممثل الفرنسي يبدو بسيطًا وسهلًا.

3- تعرضت القنصلية الفرنسية مع بداية الحرب للنهب من قبل الدهماء وفقدت كل سجلاتها، وبين السجلات، قائمة بالمتحدرين من أصول جزائرية المقيمين في الحجاز، وهم الآن يريدون تسهيلات تعين على إعادة إعداد تلك القائمة، والحكومة الحجازية ليست قلقة من جانبها تجاه التركيز على الولاء الخارجي للمقيمين بالحجاز. وأقدر أن معادلة ما سيتمّ إيجادها لإشباع رغبات وجهتي النظر، وستكون خطوة جيدة ومحمودة من جانب الحكومة الفرنسية أن تسقط مثل هذا

المطلب بقدر ما يتعلق الأمر بالمعاهدة. وكل هذه نقاط تافهة ولكن.

أتصور أن إغلاق الحدود العراقية ـ الكويتية في وجه الدويش خطوة ناتجة عن جهودك المقدرة. وقد فعلت الخطوة الكثير الجيد، وآمل أن يصل التمرد في القريب إلى نهايته. وعلى كل حال، فالخطوة التي اتخذتها الحكومة البريطانية أحدثت صدى طيبًا، وأرجو أن لا تبرهن قضية خط سكك حديد العقبة ـ معان ـ الحجاز على صعوبة تفوق إرادة الحكومة البريطانية على حلها. لا أستطيع أن أصف لك الارتياح الذي أحسّه بالتحقق من أن إمري وتشرشل وبيركنهيد وأشباههم هم الآن بلا حول للقيام بأي شيء غير التبجح، فحكومة العمال قدمت في الشؤون الخارجية علامة عظيمة، وإن المرء ليشعر حقيقة بتبدد سحب الشك والفهم القديمة.

لا شيء أكثر الآن، سوى الأماني الطيبة نحو رياح عادلة في فلسطين. ويمكن حلّ هذه المشكلة، وأنا على يقين بأن الحكومة ستحلها.

مخلصك

هـ. سانت جون فيلبي

أسرار المواقف البريطانية من توحيد المملكة

جدة: السعودية

11 كانون الثاني/يناير 1930

عزيزي ايور:

عشنا احتفالات عظيمة هنا بمناسبة يوم التتويج التي حضرها معنا عدد من قيادات الصحافة المصرية، وقد كانت لي معهم محادثات عديدة ومطولة، بينهم محمد أبو الفتح ممثلًا لـ «الأهرام»، وكذلك برو هاك فايس عن «التايمز» نيابة عن ميرتون. وأظن أنه قد التقاك، رغم أنك ربما لا تتذكره. ويبدو لي أنه قد يكون الرجل الذي تبحث عنه، وهو إنسان مرن، وعلى يقين بأن خط السياسة الممكن الوحيد الآن يكمن في مساندة سياسة الوفد الرامية لاستقلال مصر، وفي الوقت نفسه، فهو ليس تحت سيطرة الوفد، حتى يتمكن من إعطائك وجهة نظر مستقلة عن الأشياء. وعلى أية حال، فمن المحتمل أن يتوجه إلى إنكلترا حينما تصل الأمور إلى إعادة مناقشة المعاهدة، وربما تستطيع وقتها أن تقابله وتقرر بنفسك. أخبَرني ممثل البلاغ، بالمصادفة، أن شكري قد طرد من وظيفته في تلك الصحيفة. وذلك مفيد لجهة عدم وضعك إياه في الحسبان.

أصبحت الأوضاع على جبهة نجد ـ العراق سيئة وأكثر إثارة للفضول. أُحطت بصفة خاصة، ومؤكدة أن الحكومة البريطانية قدمت تعهدًا بأن لا يسمح للمتمردين بعبور الحدود بأية حال. ومع ذلك، ففيصل الدويش ونايف بن حثلين ومشهور يتنفسون في هذه اللحظة هواء السلام بالبصرة! لا أستطيع أن أفهم مطلقًا هذه الإدارة للأمور، وأخشى بشدة أن يتمّ استخدام هؤلاء الرجال من قبل فيصل وعملائه للإبقاء على

سيل من الإعلام العدائي ضد ابن سعود. وهذا يعني استمرارًا غير محدود للعلاقات الحالية غير المرضية بين الدولتين (أي نجد والعراق) مع كل الإزعاج الذي قد يعنيه ذلك.

قد لا يستطيع ابن سعود أن يترك مقاطعة الحدود فيما لا يزال مثل هذا الخطر يهدده، ويبدو هنا، أن السياسة البريطانية وببساطة ترمي إلى منعه من العودة للحجاز، حيث التأم التقدم انتظارًا لعودته. لا أستطيع أن أصدق أن دالتون يفضل هذه السياسة التي تكرس الأمر الواقع، والتي يدافع عنها عملاؤه في العراق والكويت، مع ذلك، من الصعب التفكير في أنهم يعملون من وراء ظهره أو يخدعونه بالاعتقاد أن في التخلي عن ضمانات قدمت مكتوبة سياسة جيدة. الخارجية هنا وضعت استسلام المتمردين الهاربين مطلبًا قويًا، وأني لأرجو أن ترتفع الحكومة لموقفها. غاية مصالحنا في السعودية أن تكون آمنة وفي سلام، ويستطيع ابن سعود أن يجعلها كذلك، ولكن موقفه يمكن أن يكون صعبًا حين يظهر وبتقديم أسباب أن الحكومة البريطانية مستعدة يومًا لإعطاء اللجوء إلى أولئك الذين يتمردون ضد سلطته. هل بوسعك عمل شيء لفرض كل هذه الرؤى على دالتون وتجعله يتصرف بسرعة. ألا يستطيع أن يرى أن النتيجة الوحيدة الممكنة كناتج لاعتقالهم في البصرة تحت الحماية البريطانية ستكون فتح أي باب واسع أمام التآمر والمعارضة. كل هذا بديهي بالنسبة لي، ويجب أن يكون كذلك بالنسبة لك. ولكن الخارجية، ومعها وزارة المستعمرات خلو من كل الأمل في الإنقاذ. لذلك، فعلى حكومة العمال أن

تستأصل سرطان العناد من جذوره إذا كانت تريد رواجًا معقولًا لسياستها الخارجية المثيرة للإعجاب.

يستطيع العراق أبدًا نيل استقلاله ما دامت هذه الجراح المفتوحة على حدوده نازفة وضارة. هل تريد حربًا بين العراق ونجد في 1933؟ إذا كنت كذلك، فدع الحكومة البريطانية تمضي بطريقتها الحالية!

فقد فيصل الدويش اثنين من أبنائه، وبذلك يتعذر تحويله إلى إنسان يتصالح، ولكن ابن سعود لن يخاطر، وسيتوقف تقدمه نحو الحجاز طالما بقي هو على الحدود. آلاف آهات الأسف على ذلك، تعتمد على ما يتحقق خلال حياة ابن سعود، علمًا بأن هناك الكثير من هذه السنوات الخطرة تمّ إهدارها في سوء الفهم مع بريطانيا العظمى.

وعلى أية حال فقد قلت ما فيه الكفاية وأملي موصول في أن تقوم بالفعل الضروري وعلى وجه السرعة.

لا يبدو بوند، يشغل الآن منصب القائم بالأعمال، مواكبًا للأحداث. وفي الحقيقة فهو مخطئ، ويبدو أنه فخور بابتعاده عن الاتصال بالمواطنين المحليين، وهو لا يكلف نفسه مشقة طلب التحدث إلى وزير الخارجية، أو حتى حين يصل الأخير إلى جدة بصورة متواترة، اللهم إلا إذا كانت لديه، أي بوند، حالة يحملها للوزير، دعك عن إحجامه أو خوفه من طقوس المجاملة العادية بمحادثة تليفونية إلى فيصل حينما يجيء الأخير هنا إلى جدة في بداية الشهر.

أخشى أن لا يفعل ذلك، لذلك أرجو أن ترسلوا لنا شخصًا آخر، وأخبره قبل أن يأتي أن من صميم مهمته أن يتواصل مع الناس والمسؤولين الكبار بالدولة. وقد سلمتك مسبقًا قائمتي حول الوزراء المحتملين، وقد يكون هناك آخرون.

لا أعرف على وجه الدقة ما سيفعله أو يستقر عليه مؤتمر بريطانيا ـ نجد ـ العراق ـ الكويت المقترح. وعلى أية حال، فليس بالأمر السيئ انعقاد مثل هذا المؤتمر شريطة أن تصرّ الحكومة البريطانية على شيء يتعدى مجرد الكلام المحض، لأننا تحدثنا ولسنوات طويلة عن الموضوع من دون أن نحرز نتائج كثيرة، وعلى الحكومة البريطانية أن تمسك الثور من قرنيه من دون تأخير أكثر. تنفيذ حزمة السياسة اللورنسية ـ الشريفية لم تثمر عن شيء غير المشاكل في قطارها، ولن تثمر، والشيء الوحيد الذي يمكن عمله هو إيجاد شيء يمكن أن يثمر، وعلى استعداد لتقديمه، فقط إذا كنا نملك العيون التي نراه بها.

أتوقع أن كيلك قد طفح من التطويل، ولذلك، وداعًا. أرجو أن يحضر النجاح للمفاوضات المصرية. أتمنى أن أكون هناك. أتمنى أن أتمكن من دفع الحكومة البريطانية إلى أن لا تصرّ على تلك الثكنات في القتال! لأن فلسطين ستكون مواقع خطرة لذلك الجيش، بما أننا نتحاج للإبقاء على تلك الأجزاء أو المواقع، على أية حال.

مخلصك

هـ. سانت جون فيلبي

رؤية مبكرة لحل القضية الفلسطينية وإنشاء خط سكة حديد الحجاز

نحن هنا أمام الحاج عبد الله فيلبي المشغول بالقضية الفلسطينية وليس من حق أحد أن ينكر مثل هذا الموقف، فرسالته الأولى لصديقه ايور أنهاها بعبارة الأماني الطيبة نحو رياح عادلة بفلسطين».

في هذه الرسالة للورد باسفيلد، يقدم فيلبي تنظيرًا لحل معضلة الاعتراف بالعبرية ويقترح نظامًا للحصص (الكوتات) في الخدمة المدنية مصحوبًا ببرامج تأهيل تعين المسلمين على سدّ فاقد الكفاءات في المستقبل. وهو يقدم رؤاه تجاه خط سكة الحجاز الحديدي، ويراه أنه ذا صلة بالقضية الفلسطينية.

إن فيلبي حاول أن يحارب في كل الجبهات، بصدق في بعض الأحيان، ولكنه لم يحرز النصر الذي يرجوه في معظمها، فيما عدا دفع إنجاز توحيد السعودية على صعيد جبهة بريطانيا العظمى التي لم تخف ترددها.

عن القضية الفلسطينية وخط سكة حديد الحجاز

جدة: السعودية 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1929

عزيزي اللورد باسفيلد،

لأكثر من أسبوع، ومنذ مغادرة السويس، أصبحت بلا اتصال بالتطورات الفلسطينية، ومع ذلك، وبقراءة خطاباتي بتاريخ 21 تشرين الأول/أكتوبر و1 تشرين الثاني/نوفمبر،

أشعر بأنه ربما سيكون من الأفضل مناقشة نقاط محددة بتفصيل عميق، التي قد تطفح للسطح، وتسبّب المشاكل. وقد تشجعت في الكتابة إليك أكثر انطلاقًا من حقيقة أن بعض العناصر العربية المهمة هنا، الذين ناقشت معهم مسودة مقترحاتي، عبروا عن موافقة أكيدة عليها. ولذلك أشعر بأن أي تسوية على هذه الخطوط أو ما يشابهها، ستلقى استقبالًا حافلًا في كل أرجاء العالم الإسلامي، (وخاصة العربية السعودية) التي تحمل انطباعًا متميزًا تجاه سجل حكومة العمال في سياساتها الخارجية عامة، وبرجوع خاص إلى التقدم الذي أحدثته تجاه مصر والعراق والهند.

أما بالنسبة إلى مسودتي النهائية حول الموضوع، أريد أن أشدّد لديك، بأنه، ورغم أن الذين تشاورت معهم (أي القادة المتشددين) حاولوا أن يكونوا حريصين على الاعتدال في وضع الحد الأدنى لمطالبهم، فالمسودة على أية حال تشكل فقط الحد الذي يشعر معه المتشددون بتبرير ما قادهم لتقديم التنازلات. وقد تكون هناك نقاط لا تشعر الحكومة البريطانية تجاهها بالاقتناع التام، وربما تكون هناك حاجة لافتراض عقبة لا تقهر في هذا الخصوص ما بقي المعلم الرئيس للمشروع باقيًا كما هو.

تمّ التعامل مع ذلك الملمح في الفقرتين 3 و5، وأعتقد أن العرب سيوافقون على تنازلات أخرى محددة إذا كان بوسعهم أن يضمنوا بصورة قاطعة، وبتقديمهم لتلك التنازلات، حكومة فلسطين القادمة من شعب البلد على قاعدة

ديمقراطية تلبي طموحاتهم المشروعة. أحد التنازلات الممكنة يتعلق بالطبع بالاعتراف باللغة العبرية على مستوى رسمي، في مقابل أن يضغط المثقفون اليهود لجهة أن لا يقال شيء عن الصهيونية. ولا أعرف ما ستراه حول هذا، ولكن مسودة المشروع لا تعزل الإنكليزية والعبرية، فيما سيُلقي صمتهم حول الموضوع بمسؤولية إثارة هذه القضية في الاجتماع المقترح، الذي يمكن للمندوب السامي أن يمارس حق النقض بموجب المادة 7 على ناتج تصويت الاجتماع. وإذا كان اليهود قلقين تجاه حماية أنفسهم في هذه النقطة عبر إشارة خاصة للعبرية في نصوص أية تسوية، أتجرأ بالقول إن العرب سيقبلون بذلك تحت ضغط معقول. ويمكن في المقابل تجاوز هذه المشكلة من دون الإشارة إلى كلمة عبرية بوضع نص يقول إن لغة أي جالية فلسطينية لا يقلّ تعدادها عن خمس المجموع الكلي للسكان يتمّ الاعتراف بلغتها على قدم المساواة مع اللغة العربية.

وعلى العموم، أعتقد أن المسار الأكثر طلبًا هو الإبقاء على حالة من السكون اللبق مع تحقيق تفاهم مع القادة العرب يُفضي إلى أن أي محاولة لعزل العبرية عن موقعها الحالي ستواجه بممارسة حق النقض. وربما يوافق اليهود على هذا. أو، ومرة أخرى، يمكن النص على أن اللغة الإنكليزية ستتوقف عن كونها واحدة من اللغات الرسمية في فلسطين تاركة المسرح بالاستدلال للعربية والعبرية لامتلاك مشترك للحقل مع بقاء حق النقض لحماية الأخيرة.

وربما يقضي الأمر بوضع شرط بأن لجنة مشتركة برئاسة بريطانية ستؤسس لخلق خدمة مدنية دائمة لفلسطين على نموذج الخدمة المدنية البريطانية للبدء في الإدارة الجديدة. ويتمّ استخدام الموارد الموجودة في تشكيل مثل تلك الخدمة من دون مشايعة لأي من العقائد الدينية الثلاث، بما أن المسلمين لن يكونوا متوفرين بأعداد كافية لتلك الخدمة في مراحلها الأولية باستدعاء عامل المؤهلات، يتمّ بعدها إيجاد سجلات لمسار الخطة التدريجي مع مشروع للتأهيل يفي بعدالة القسمة بين العقائد لاحقًا.

من المحتمل أن تثير قضية خط سكة الحجاز الحديدي بعض المشاكل، ويشكّل تحويل إدارتها إلى المجلس الإسلامي الأعلى جزءًا من المسودة الأصلية للحاج أمين. رغم استطاعتي التأثير فيه بحذف أي إشارة خاصة للموضوع. وسيكون تحركًا مثيرًا للإعجاب لإبقاء هذه القضية وعلى الدوام خارج الطريق. وأنا شخصيًا على قناعة بأن سياسة شجاعة ستأتي بنتائج مثيرة للإعجاب تعزز من رصيد حكومة العمال في كل العالم الإسلامي.

أما ما هو مثالي، فيكمن في التعاون مع الفرنسيين لجهة دعوة حكومة الحجاز ومسلمي فلسطين وسورية والأردن لإرسال وفود إلى مؤتمر يكون هدفه خلق مجلس إسلامي يتولى مسؤولية إدارة كل المشروع والمخزون من حيفا ودمشق إلى المدينة، وإدارته وفق مصطلحات الوقف الأصلية.

ربما يكون من الصعب أن نتوقع تعاون الفرنسيين، ولكن ليس هناك سبب للسياسة البريطانية لتظل متخلفة عن الحضور بسبب الإمبريالية الفرنسية. وباستبعاد الأجزاء السورية، يمكن تقديم العرض نفسه من البريطانيين في ما يخصّ الأجزاء بفلسطين والأردن والحجاز، على أن يتمّ التحويل من دون إغضاب المؤهلات. رغم أنه من الممكن اشتراط يقول إنه ولعشر سنوات، سيتمّ تشكيل لجنة استشارية، بريطانية، (أو بريطانية ـ فرنسية) لتقديم النصح والمشورة للمجلس الإسلامي في المسائل الفنية وغيرها. ومن شأن هذا المجلس الاستشاري أن يمنح حق تقديم سنوي إلى مجلس الرابطة، سيكون مثل الترتيب مثاليًا وأوصي بشدة على تطبيقه.

ولكن من الممكن أن لا تكون الحكومة البريطانية على استعداد للمضي بسيطرتها الحالية على الأجزاء في فلسطين والأردن، وفي كل الأحوال، لا بدّ من عمل شيء ينزع عنها النقد بالتعامل العادل مع جزء الحجاز الذي لا يزال مهملًا بسبب احتجاز كل موجودات الخط من قبل بريطانيا العظمى وسوريا. اقترح تشكيل لجنة من الحكومة البريطانية لحصر الحصص المستحقة لفلسطين والأردن والحجاز في المجموع الكلي للموجودات في كل الخط (مع استبعاد الجزء الفرنسي ما لم يوافق الفرنسيون على التعاون). هذه الحصص تصيب الحجاز (في القطارات، ومواد التسيير والمواد الأخرى) على أن يتمّ تركيزها في معان (وكذلك حصة صحيحة في الموجودات الحالية). من ثم تدعو الحكومة البريطانية حكومة

الحجاز للبدء في إدارة مديرية معان والعقبة (تمّ احتلالها بالقوة في تموز/يوليو. . . [1] 1925 باتفاقية إعلان بريطانيا الحياد في الخلاف. . . [2] وقد ظلت معترفًا بها ومحترمة حين كنت الممثل البريطاني في الأردن). هذا يقود إلى استدعاء افتراض تلقائي. . . [3] من قبل حكومة الحجاز التي ستبدأ من بعد في مدّ الطريق إلى المدينة في خدمة التجارة بمصلحة عظيمة لفلسطين والأردن.

أتمنى أن يلقى واحد من البدائل المقترحة المصادقة عليه. ولكن، وعلى أية حال، وأيًّا كان ما سيتم عمله حول خط الحجاز الحديدي، فلا بد من أخذ قضيته باستقلال عن القضية العامة لفلسطين.

وبالمناسبة، ابن سعود يشعر بحزن تجاه إعلان حسن النوايا الصادر عن حكومة العمال تجاه المشاكل في دول الشرق الأوسط وعدم دخوله إلى تخوم بلده الصحراوي. وهو يستحق منا وبكل تأكيد ما هو حسن منا.

أخشى أن أكون قد شتّت انتباهك بهذه المشاكل بصورة مطولة، وإذا كان لي أن أكون ذا فائدة، فسأكون سعيدًا بتقديمها، ولكن، وإذا ما فرضت الحكومة البريطانية روحًا صحيحة وسياسة صحيحة، فإن وسائل الإعلام الرسمية العادية

(1) كلمة ساقطة..

(2) أحرف ساقطة في التصوير.

(3) كلمات ساقطة في التصوير.

كافية للتعامل مع القضايا من جهتها. وإذا كان لك أن تستميل داورانس. . .[1] للخروج من صومعته، فإن نصيحته لن تكون ذات فائدة، وأعتقد أنك ستجد وجهة نظره مختلفة جدًّا عن وجهة نظري.

مخلصك فيلبي

(1) الحرف الأول من الاسم غير واضح..

الفصل السادس

بريطانيا تعتقل فيلبي وتحرمه من السفر إلى أميركا

مقدمة:

نحن هنا مع رحلة المتاعب في حياة فيلبي، كانت الحرب العالمية قد بدأت فبدأت مشاكل الرجل مع الملك عبد العزيز، بالغ الحاج فيلبي في وقوفه ضد بلاده وضد الحلفاء، فتنبأ الملك بأنه سيواجه السجن، ولكن فيلبي غادر المملكة من دون رغبة الملك فيما يبدو، فنصح الملك السلطات البريطانية بتفتيشه.

رحلة المتاعب بدأت بالاعتقال في الهند، ثم في بريطانيا والحرمان من السفر لأميركا. مثلما قادت إلى صراع بين المخابرات والداخلية والخارجية، فانقسموا في داخلهم، وضد بعضهم في قانونية الاعتقال. لتمضي الإثارة ملازمة لفيلبي أينما ذهب.

بدأت مشاكل فيلبي

وثيقة رقم: B76

التاريخ: 16 شباط/فبراير 1940

من: مفوضية جدة

إلى: الخارجية

1- ظل فيلبي، ومنذ وصوله إلى جدة قادمًا من الرياض، يطلق العنان، وفي العلن، لأحاديث حافلة بعدم الولاء والانهزامية أمام المتعاطفين معنا والمحايدين.

2- توجهه، والذي وصفه نظيري الفرنسي هنا، وفي برقية لحكومته، بأنه مشين، يكمن في الآتي: لم يكن على الحلفاء الدخول في حرب غير ضرورية، وربما تدمرّ العالم، وسيكونون ملزمين، بمرور الزمن على الوصول إلى سلام مع هتلر. خدمة الأخبار البريطانية جديرة بالاحتقار، والأخبار عن الخسائر في البحرية يتمّ تزويرها عن عمد.

3- أشار في محادثة أخيرة له مع الوزير الفرنسي إلى عرض قدّمه له مكتب الحرب لاستخدامه، وقال إن ذلك لم يثمر عن شيء، لأنه فشل في الحصول على تأكيد بالاستقلال التام للدول العربية بعد الحرب. من البديهي أنه ليس لحكومة جلالة الملك نوايا في استخدام الوعود على نصوص قيد الدراسة. وإذا كان ابن سعود قد أرسل إليه داعيًا له من بريطانيا، فلأن ابن سعود كان يريد معرفة (الحقيقة) التي شعر أنه لم

يستطع الحصول عليها من الممثلين البريطانيين الذين كانت شفاههم مغلقة رسميًا. رغب ابن سعود في البقاء محايدًا، وهو ليس أكثر تعاطفًا مع الحلفاء عنه مع قضية ألمانيا.

4- ومع أني قد جمعت معلومات من حافظ وهبة وآخرين بأن ابن سعود لا يضع ثقة كبيرة في فيلبي، إلا أني أتفق مع زميلي الفرنسي، بأن حمل آراء مثل هذه، من قبل إنسان لديه دخول دائم في مجلس ابن سعود، يشكّل خطرًا سياسيًا.

الجوازات تتآمر ضده

الوثيقة: A97

التاريخ: 27 حزيران/يونيو 1940

الجهة: مكتب الجوازات.. وزارة الخارجية.. الاستخدام الرسمي فقط

الموضوع: هاري سانت جون بردجر فيلبي

يحمل جواز سفر رقم 395768 الصادر من لندن بتاريخ 27 تشرين الثاني/نوفمبر 1937 من مواليد سيلون، 3 نيسان/إبريل 1885.

الطول: 5 أقدام، 8 ونصف بوصة.

لون العينين: أزرق.

لون الشعر: بني.

هذا الرجل الآن بالسعودية. كان في السابق عضوًا

بالخدمة المدنية الهندية والتي تقاعد منها عام 1925. ومن ذلك الوقت أصبح مصدر إرباك لحكومة جلالة الملك البريطانية بسبب اتجاهاته المعادية لبريطانيا. وقد أصبحت تلك الاتجاهات أكثر حدة منذ انفجار الحرب الحالية فيما تمّ اتخاذ وجهة نظر جادة تجاه عدم ولائه ودعايته الانهزامية.

ولذلك ذهب التقرير إلى أنه من غير المرغوب منحه أي تسهيلات تمكّنه من السفر إلى الشرق. ولذلك، وإذا ما قدم جواز سفره، لأي هدف، لمكتبكم، فيجب حجز الجواز، ومنحه وثيقة سفر اضطرارية، سارية المفعول ولرحلة واحدة للمملكة المتحدة. كما يجب عدم اتخاذ أي إجراء، مهما كان، من شأنه أن ينتج عن إشعار فيلبي بإنذار غير ناضج بشأن العودة أو البقاء في السعودية.

ج. و. ستافورد

كبير ضباط الجوازات

معنون ل: قنصل جلالة الملك وضباط رقابة الجوازات

يتشاجر مع الملك عبد العزيز ومع ذلك يحميه

وثيقة رقم: 76

التاريخ: 30 حزيران/يونيو 1940

من: ستونهيور - بيرد

إلى: الخارجية

برقيتي رقم 29. تحدث معي الأمير فيصل في مقابلة أخيرة

حول فيلبي، الذي تشاجر مع الملك عبد العزيز باستمرار نتيجة قول فيلبي إن الكارثة العسكرية في فرنسا جاءت (بسبب) فشل بريطانيا في اتخاذ المبادرة بغزو بلجيكا وهولندا.

ردود فعل الملك جاءت حاسمة بأنه ودع أو أوقف توقعاته بأن لفيلبي مشاعر حميمة تجاه بلاده، مع تقديره لكفاءاته في الحديث.

الأمير يعتقد أن فيلبي يرغب في مغادرة السعودية، وأنه أصبح يتعمد دفع الملك إلى فصله. الملك لن يدعه على أية حال يذهب، لأن الملك على قناعة بأن فيلبي سيواجه السجن، أو ما هو أسوأ، إذا وقع في أيدي السلطات البريطانية. وهي القناعة القائمة بأن توجهات فيلبي كان لا بدّ وأن تقود إلى اعتقاله في فترة الحرب، وهذا هو ما قاد ابن سعود إلى دعوته للرياض.

الملك يضعه تحت الرقابة

وثيقة رقم: B76

التاريخ: 1 تموز/يوليو 1940

من: ستونهيور - بيرد. جدة

إلى: وزارة الخارجية

برقيتي رقم 126، (أقوم بإعادتها الآن إلى الحكومة الهندية)

1- تسلمت هذا الصباح رسالة من ابن سعود أحاطني فيها أن فيلبي سيغادر البلاد وقد طلب منا تسهيلات لرحلته.

ويعتقد الملك ابن سعود أن فيلبي مختل العقل، فهو لا يكف إطلاقًا عن كيل اللعنات والإساءة والاحتقار للحكومة البريطانية. قال فيلبي للملك ابن سعود إنه يرغب في السفر إلى الهند وأميركا من أجل تعبئة إعلامية مناهضة لبريطانيا. ابن سعود أصدر أوامره للسلطات السعودية بأن يراقبوا فيلبي عن قرب خلال تحركات المغادرة، وأن يبلغوه أنه وإذا ما واصل الحديث العدائي لبريطانيا فإنه سيعرض نفسه للسجن. تلقى سلفًا تحذيرًا في هذا السياق من القائمقام.

2- قبل تلقيه هذا التحذير، علّق فيلبي، في حضوري وحضور بعض البريطانيين والأجانب الليلة الماضية، بأن الأخبار الإذاعية، من لندن مجرد هراء وضيع حين طلب منه بشدة أن يُحسّن السلوك، تحول إلى إنسان عنيف، فأخبرته بأنه لن يلقى الترحيب مني مستقبلًا ولا من أي منزل بريطاني.

3- يقول فيلبي في طلبه المقدم لنا في القنصلية بإذن دخول البحرين بما يأتي: يغادر جدة للبحرين يوم 17 تموز/ يوليو، يغادر البحرين إلى بومباي يوم 28، يغادر بومباي إلى أميركا 10 آب/ أغسطس على ظهر السفينة أدامز.

أعتقد أنك توافقني الرأي، بأنه سيكون من غير المرغوب فيه جدًا أن نترك فيلبي يسافر إلى أميركا. من الممكن مراقبة نشاطاته عن قرب في الهند، وأشعر أن من الأفضل أن يبقى هناك تحت الرقابة المشددة خلال الحرب، وأثق أن الحكومة الهندية ستكون راغبة في استقباله.

ويوصي بريطانيا بتفتيشه

وثيقة رقم: 76

التاريخ: 21 تموز/يوليو 1940

من ستونهيور - بيرد. جدة.

إلى: وزارة الخارجية. عاجل.

1- انظر برقيتي رقم 154 للخارجية.

2- أرسل لي الملك ابن سعود رسالة مفادها أن لديه من الأسباب ما يدفعه للاعتقاد بأن متاع فيلبي يحتوي على خطابات ومقالات ذات نبرة معادية لبريطانيا، والتي سيحاول أن يهربها إلى البحرين (عبر) أصدقاء. يشعر الملك ابن سعود أن حكومة جلالة الملك ربما تعتقد أن من الحكمة تفتيش متاعه.

وفعلًا.. فتشوه.. واعتقلوه

ويقول الملك، إن فيلبي صديق له، ولكن المصالح تأخذ الأسبقية بالنسبة له على صداقاته الخاصة.

«معاد للهند. البحرين».

وثيقة رقم: 63

التاريخ: 18 تشرين الأول/أكتوبر 1940

إلى: المفتش

الموضوع: هاري سانت جون فيلبي - 55 عامًا، اعتقاله بموجب اللوائح B18 من قانون الدفاعات (العام) لعام 1939.

أرجو أن أحيط بأن المذكور أعلاه قد وصل إلى هذا

الميناء على ظهر السفينة س. س. «مدينة فينيس» يوم 17. وتمّ اعتقاله على الفور وحجزه في الغرفة الرئيسية (برايدويل) قبل ترحيله إلى سجن ليفربول.

تمّ تفتيش غرفته بالسفينة ومتاعه، وهو شخصيًا وبدقة، وقمت باحتجاز عدد من الوثائق والأوراق، وهي مرفقة. كذلك قام ضابط الجوازات جينيسي باحتجاز جوازي سفره رقم 395768 و168244 وأرسلهما إلى وزارة الداخلية. أحاطني أحد الركاب، وهو لا يريد الإشارة لاسمه، أن فيلبي كان يستمع دائمًا خلال الرحلة إلى الأخبار الألمانية، وأخبرهم بعدها بكم عدد الطائرات البريطانية التي تمّ إسقاطها، والأخبار مشابهة.

حين تمّ تفتشيه في الغرفة الرئيسية، وجدنا بحوزته 11.9.92 جنيهًا استرلينيًا و850 دولارًا، و55 روبية وثلاث قطع حديد من عملة أجنبية، وكذلك رخصة قيادة برقم 117476 و430798/ 2 صادرة من مجلس كاونتي بلندن. كذلك كان من بين متاعه، سبع نسخ من صحيفة الـ «تايمز». ثماني نسخ من صحيفة «مانشستر غارديان»، ثلاث نسخ من «فريتاون ديلي غاردين»، ثلاث نسخ من «سيراليون ديلي ميل» ثلاث نسخ من «ناتال ميركري»، نسخة من «اوفرسيز ديلي»، ونسخة من «ديربان ديلي نيوز».

أرجو أن أقترح إرسال صورة الاعتقال الأصلية لوزارة الداخلية، مع نسخة من هذا التقرير، وكذلك إرسال نسخ من هذا التقرير مع الوثائق المرفقة إلى المخابرات .(M.I.5)

مثير وهو طليق.. وهو سجين

وثيقة: A61
التاريخ: 21 تشرين الأول/أكتوبر 1940
عزيزي ف. ف:

كتبت لك في اليوم التالي عن سانت جون فيلبي، وتكرمت أنت بإعطائي تقريرك، وقد أرسلته، دون الإشارة لاسمك، إلى وزارة الخارجية للتقييم. أمتلك الآن ردًّا من ويلسون-يونغ يقول إن وزير الداخلية قد أصدر أمر الاعتقال بموجب قوانين الدفاع B18، والذي سيكون ساري المفعول بمجرد وصول فيلبي إلى ظهر الباخرة اس. اس. «فينيس» التي غادرت كراتشي يوم 18 آب/أغسطس. ربما يكون فيلبي الآن في سجن بريكسون.

ويلسون-يونغ، أضاف الملاحظة الشخصية الآتية على خطابه: ربما يقودك الاهتمام إلى معرفة أن الإدارة المعنية هنا لا يمكنها أن توافق على التقارير التي قدمها المخبرون حول فيلبي.. تراهم كتبوا يقولون:

بالنسبة لفطنته السياسية (يذهب تقرير المخبر التابع لك) فهي تثير طيفًا من الأسئلة، أما بالنسبة لعدم ولائه، فذلك غير صحيح، ومنافٍ للحقيقة، والتي هي: في عالم فيلبي لا يوجد غير فيلبي، والولاء وعدم الولاء بالنسبة له مجرد كلمات.

أنا لا أعرف شخصية الإنسان في وزارة الخارجية، أعني الذي قام بكتابة مثل هذا التقرير، ولكن، وبوضع ما تقول في الاعتبار، لا أستطيع أن أتجاهل شعوري بأن تلك ملاحظة

شديدة الغباء، وأن خطأ فادحًا قد وقع. هل تعتقد أن هناك أي شيء يمكن عمله؟ خاصة في ضوء الحقيقة القائلة بأن ابن فيلبي لا يزال في الخدمة معك؟

مخلصك

توقيع غير واضح

المخابرات تعترف بالخطأ الفادح

وثيقة رقم: A64
التاريخ: 26 تشرين الأول/أكتوبر 1940
من: كابتن ج. ليديل. المخابرات .M.I.5 شخصي وسري
إلى: جاي

المرجع ملفك الخاص بتاريخ 21 تشرين الأول/أكتوبر 1940 فيما يخصّ سانت جون فيلبي. اتفق معك أن واحدًا من أقبح الأخطاء قد تمّ ارتكابه، وإذا لم يكن هناك دليل مادي، وهو ما لم أجده، في ملفات وزارة الخارجية، لا أستطيع التصديق بأن هناك ما يكفي ضد فيلبي في مسألة اعتقاله. أنا افترض أنك لم تروّج لمسألة اعتقاله، أو أنك تعرف، لحد التأكد، الأرضيات التي قبلتها وزارة الداخلية في تبريرها لتوقيعه على أمر اعتقاله. وإذا لم يكن ويسلون ـ يونغ يملك الكثير، مما يهتم هو بالإشارة إليه، فإن من السهل تصوير الإجراء ضد فيلبي كنوع من الخبث السياسي، وليس لدي شك، أنه وحين تجيء الظروف، وهي آتية بلا شك، لمذكرة هيربرت موريسون، فستكون هناك ضجة لزجة ومشبعة بالعفن.

وبما أن هذه قد لا تكون حالتك، أو موقفك، وبما أننا نملك بعض التبرير في اهتمامنا بالأمر فيما يخصّ استخدام كيم فيلبي في قسم الدفاع، فإني سأطلب من هوبكنسون إذا كان من الممكن رؤية الأوراق، وسأحيطك بما تحمله من حيثيات وراء الإجراء[1].

مخلصك

كابتن ليديل

الخارجية مع الاعتقال.. ليست ضد الإفراج

وثيقة رقم: B76 الخارجية

التاريخ: 12 كانون الأول/ديسمبر 1940

إلى: عزيزي جورج. سري للغاية

شكرًا على خطابك بتاريخ 7 كانون الأول/ديسمبر عن فيلبي.

أرفق لك نسخًا من البرقيات القادمة من جدة تتعلق بنشاطات فيلبي المؤذية بعد عودته للعربية السعودية نهاية عام 1939، تمّت التدابير وفق نتائج هذه التقارير، وبالتشاور مع مكتب الهند، لجهة خطوات لا بدّ من اتخاذها لتأكيد أن فيلبي، وإذا ما غادر السعودية، لا بدّ أن يُرسَل إلى إنكلترا، وعدم السماح له بأي إذن يزور به الشرق الأوسط، وبما أن

(1) على الوثيقة ختم يقرأ: هذه نسخة، لأن الوثيقة الأصلية أعيدت للقسم بموجب فقرة 3 (4) من قانون السجلات العامة لعام 1958. وبخط اليد ملاحظة تقرأ: أيار/مايو 2002.

فيلبي، قد تشاجر أخيرًا مع ابن سعود وغادر البلاد في طريقه إلى أميركا لممارسة نشاط عدائي هناك، فقد تمّ اعتقاله من قبل الحكومة الهندية بموجب إجراءات الدفاع وأرسل إلى هنا، وقد أخطر مكتب الهند وزارة الداخلية بموعد وصوله، وقدم الأسباب التي دعت لاتخاذ الإجراء ضده. وإنه، بناء على هذه المعلومات، وليس بناء على أي تحريض من الخارجية، والتي لم تتخذ أي إجراء في الموضوع، فيما لم يتمّ تقدير آرائها، جاء قرار وزارة الداخلية باعتقال فيلبي. وكل الذي يهمنا في كلّ هذه القضية هو عدم السماح له بالسفر للخارج.

علاوة على ذلك، أريد الإضافة، بأني لا أعارض قرار وزارة الداخلية، ولا نرى سببًا محددًا، في ضوء المعلومات التي لدينا، لماذا يتمّ الضغط عليهم لمراجعة القرار من الجهة الأخرى، فإننا لن نعارض وبلا شك إطلاق سراحه، بشرط بقائه في بلاده. أعتقد أن ناتج انفلاته أنه تحدث بالكثير الفارغ أمام المفوضية بالعربية السعودية وأناس آخرين في الشرق الأوسط، ولكن، وفي النهاية، فأي إنسان يعرف فيلبي كإنسان مهووس وأن آراءه لا تؤخذ مأخذ الجد.

اليك كادوجان

أرسلتُ نسخة من هذه الرسالة إلى العقيد هاركر بالمخابرات M.I.5.

المخابرات تتبرأ...

وثيقة رقم: A78

التاريخ: 29 كانون الثاني/يناير 1941

عزيزي لينوكس:

بالإشارة لخطابك بتاريخ 7 كانون الثاني/يناير 1941 فيما يتعلق بـ هـ. سانت جون فيلبي، علمت أنه ومن وقتها تحدثت إلى بلشر، والذي أحاطك أنه، وبرغم أن استئناف فيلبي لم ينظر بعد من قبل اللجنة الاستشارية، إلا أن من المرجح، مثوله أمامهم في بحر الأسابيع القليلة القادمة.

لا علاقة للمخابرات (M.I.5) باعتقال فيلبي بموجب قانون الدفاع، الأمر B18. الاعتقال تمّ من قبل وزارة الداخلية تنفيذًا لتعليمات وزارة الخارجية، ولعلمك الخاص، فالمادة في الحالة ضد فيلبي تجيء من سلوكه وبعض تفوهاته في العربية السعودية منذ اندلاع الحرب.

مخلصك

ر. ك. د. رينتون

والداخلية تريد الدليل

وثيقة رقم: B77

التاريخ: 25 كانون الثاني/يناير 1941

من: وزارة الداخلية. اللجنة الاستشارية

عزيزي: هيل. المخابرات M.I.5

فيما يتعلق بحالات الأعمال الضارة بالأمن العام.. إلخ، والتي تسلمنا بموجبها «أسباب الأمر» من وزارة الداخلية من خطابي بتاريخ 18 كانون الثاني/يناير، فالحالات تلك هي:

- هـ. سانت جون فيلبي
- ج. ل. لوكهارت (عبر المخابرات) M.I.5 لم نتسلم حالات ذات طبيعة عدائية أو ذات ارتباط بها.

توقيع..

الوزير

لا للعودة للسعودية

وثيقة رقم: بلا رقم

التاريخ: 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1941

سيدي:

بالإشارة إلى طلبك بشأن إذن خروج يمكنك من السفر إلى جدة في السعودية للإقامة وممارسة نشاطات تجارية هناك، أحيطك بأن طلبك قد حظي بالعناية الكاملة. ومع ذلك، تقرر عدم منح إذن خروج.

مخلصك

ج. و. ستافورد المدير

معنون إلى: هاري سانت جون فيلبي

18 اكول رود N.W.6

المخابرات الكينية: فقد ودّه مع الملك

وثيقة رقم: A36

التاريخ: 7 أيار/مايو 1938

الموضوع: شؤون عربية

مصدر الأصل: تقرير المخابرات الكينية

قيل إن مستر سانت جون فيلبي، موظف الخدمة المدنية الهندية السابق، والذي اعتنق الإسلام وأقام بالعربية السعودية، قد فقد الكثير من التأثير الذي كان له يومًا مع الملك ابن سعود. أسباب ذلك لم يعلن عنها على أية حال.

الفصل السابع

كيف أدار الملك عبد العزيز مفاوضات النفط ولماذا انحاز للشركة الأميركية؟

مقدمة:

بدون أي تقديم، دعوا قلم الحاج فيلبي يتحدث..

نحن هنا أمام وجه آخر، ليس الرحّالة، وليس السياسي، وليس الإداري، أو الروائي ..

نحن أمام خبير بشؤون النفط، استقصاه في السعودية، والعراق وإيران، عرف الشركات، وساهم كما يزعم في رسو عطاءات التنقيب على شركة أميركية.

إن فيلبي في وجه آخر لم تكشف عنه كل الفصول السابقة، ولا يكمله هذا الفصل، لأن هناك القليل المعلق حول هذه الشخصية، ونعد بعرضه في الوقت المناسب.

كيف أدار الملك عبد العزيز مفاوضات النفط ولماذا انحاز للشركة الأميركية؟

أعلن في 12 تموز/يوليو أن المفاوضات المتعلقة بمستقبل

النفط ستلتئم قريبًا في واشنطن، وسيقود الفريق البريطاني اللورد بيفربروك الذي سيصطحب مستر ر. ك. (وزير الدولة) ومستر ج. لويد (رئيس مجلس حماية النفط) ومستر ر. اسختون (وزير المالية لشؤون الخزانة مع السير وليام براون ككبير للمستشارين الفنيين)، وستكون المفاوضات استمرارًا للمناقشات الأخيرة في واشنطن على المستويين الإداري والفني، فيما توحي قوة الفريق البريطاني أنها قد توصلت إلى الأهمية العظمى للنتائج المرضية للمفاوضات القادمة.

الولايات المتحدة الأميركية ستواجه المفاوضين البريطانيين بفريق مماثل من أصحاب الوزن الثقيل بقيادة كورديل هال، ولا توجد هناك اقتراحات فيما عدا ثنائية المناقشات، رغم أن روسيا وهولندا وفرنسا، في عداد القوى المهتمة، إلا أنه لم تتمّ دعوتها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، للانضمام للمحادثات، المتعلقة بدول مثل إيران والعراق والسعودية ومصر والدول الأخرى التي ستتأثر مباشرة بأية نتائج تتحقق. لم يحطنا أحد حول المنظور الحقيقي وطبيعة المحادثات وما ستكون عليه، ولكن من الممكن الافتراض، اعتمادًا على طبيعتها الثنائية، أن هدفها سيكون تحقيق كيان أنكلو ـ أميركي تجاه تلك الدول المنتجة للنفط، والتي تملك بريطانيا وأميركا فيها مصالح ممتدة ومتنامية.

وعلى سبيل المثال، فمن غير المحتمل أن يؤتى بدول (مثل فنزويلا والمكسيك وبورما والهند أو رومانيا، وبقدر أقل روسيا) في إطار المنظور للمحادثات الحالية. وبعملية

الإقصاء، يمكننا القول إن الشرق الأوسط سيكون المنطقة الجغرافية قيد المحادثات.

وعلى ذلك، فإن جنوب إيران ووسط وشمال العراق، والسعودية والكويت والبحرين وقطر ومصر هي الوحدات المنتجة للنفط حقيقة، فيما ستكون الدول التي سترسم ضمن محور النفط هي السودان والحبشة والصومال وحضرموت وعمان، وفي جميعها وجدت مؤشرات للنفط، فيما تمّ فحص الساحل الغربي للعربية السعودية والجزر الواقعة في الحزام النفطي مثل فرسان دون نجاح في العشرين سنة الأخيرة، ومن غير المرجح أن يثبت امتلاكه لمخزونات نفطية. والآن، وإذا ظل الوضع فيما يتعلق بالنفط في الشرق الأوسط كما هو، قبل عشرين عامًا، فإنه ما كانت لتكون هناك مناسبة لمثل هذه المسلسلات الحالية من مؤتمرات واشنطن، ففي تلك الفترة كانت لبريطانيا القوة الاحتكارية للتحكم، إذا لم نقل المصلحة في كل نفط الشرق الأوسط. صحيح أنه وكنتيجة للحرب العظمى، فقد خصصت المنطقة الحاملة للنفط في العراق (الموصل وكركوك وكلاهما كانتا أراضي تركية) بحصص متساوية بين المصالح البريطانية والأميركية والهولندية والفرنسية، ومع الاعتراف بوضع الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، فقد تمّ تمديد فرع من خط حيفا الرئيس إلى طرابلس.

وهناك أيضًا مصلحة إيطالية، فمنطقة B.O.D السابقة، كان من الممكن أن تبرهن على منافسة أو عدم قناعة، إذا لم يكن لها في ذلك الأوان أن يتمّ امتصاصها من قبل شركة القادري

القومية العراقية. وعلى العموم، وعلى أية حال، فالسيطرة البريطانية سائدة وغير قابلة للتحدي في منطقة النفط المهمة كما هو الحال في الشرق الأوسط.

ومع ذلك، ربما يكون قبول أميركا بمصالح في حقول النفط العراقية هو الذي وضع البذور لهذا التحول الثوري في الأوضاع، والذي تطور وجاء بالإضافي خلال العشرين سنة الماضية.

الشركة الإنكليزية ـ الفارسية (الآن الإنكليزية ـ الإيرانية) للنفط، في وضع تحكمي يمكنها من القيام بمهمة تطوير حقول النفط الأخرى التي يمكن أن توجد بمنطقة الشرق الأوسط. ومع ذلك، فالشركة وضعت سياسة حذرة ومتحفظة رغم المصالح المتسعة التي صنعتها الحرب العظمى لمستقبل النفط.

وإنه لاهتمام بريطاني آخر، وبالحقيقة، لمنظمة الشرق العامة الممولة التي يتحكم فيها اللندني ادموند ديفس، والتي وضعت أول لبنة لهذه المناطق التي لا تزال حرة. فممثله الرائد فرانك هولمز وبمساندة محوريّة من السير بيرسي كوكس، المفوض السامي لدى العراق اغتنم فرصة الزيارة الأخيرة لميناء العقير من أجل مؤتمر سياسي مع الملك عبد العزيز في شتاء 1922-1923 للمبادرة بمفاوضات مع العاهل السعودي حول امتياز نفطي في شرق السعودية. ولم تكن وقتها شركة النفط الأنجلو ـ فارسية، وكانت وقتها تحت سيطرة السير أرنولد ويلسون، مثارة بجدية آفاق النفط

السعودية، ولكنها كانت حريصة بإبقاء كل المنافسين المحتملين في مرمى طول يديها، فأوفدت ممثلًا لها إلى العقير في مهمة رقابية، وربما يكون السير بيرسي كوكس، وقد لا يكون، قد قام بعدم تشجيعه تجاه المنافسة النشطة، ولكنه، وبالفعل، استخدم صلاته الطيبة مع ابن سعود من أجل توفير ضمانات نفطية لشركة اتحاد ادموند ديمس، بشروط اسمية تغطي كل منطقة شرق السعودية.

كان ذلك مبكرًا في عام 1923، فيما كانت الفقرات الفاعلة للضمان هي:

(أ) تقدم شركة الاتحاد مقدمًا أجرة سنوية مقدارها 2000 جنيه استرليني عن المنطقة.

(ب) تقدم وبصورة نشطة ومستمرة بعمليات الاكتشاف.

(ج) يكون ابن سعود حرًّا تجاه إلغاء التنازل في حال فشل شركة الاتحاد في دفع الإيجار المنصوص عليه في الوقت المعلوم أو في حال توقفها عن أعمال الاكتشاف لمدة متصلة تصل إلى 18 شهرًا.

وفي حوالي الفترة نفسها، وكذلك عبر تأثير السير بيرسي كوكس، ضمن الرائد هولمز لشركته تنازلًا مماثلًا في جزر البحرين (محمية بريطانية).

تمّ دفع إيجار 1923-1924 مقدمًا للسعودية فيما تمّ إرسال اثنين من مهندسي المعادن البلجيكيين لفحص المنطقة في خريف 1923، وقد جاء العمل الموسمي الأول بنتائج

سلبية، ولكن إيجار 1924-1925 تمّ دفعه أيضًا فيما عاد المهندسون البلجيكيون للعمل الموسمي مرة أخرى، وخرجوا بنتائج سلبية، وبذلك، فشلت شركة الاتحاد في السنة الثالثة في دفع الإيجار، ولم تباشر أعمالها في ذلك الموسم، وحدث الشيء نفسه في موسم عام 1926-1927، برغم مذكرة ابن سعود التي ذكرت بنصوص عقد الامتياز، وتوالت القصة نفسها في موسم 1927-1928. في تلك الأثناء كانت شركة الاتحاد تحاول التخلي عن تنازل البحرين للشركة الإنكليزية ـ الفارسية للنفط التي قدم خبراؤها تقارير سلبية حول آفاق وجود النفط في تلك الجزر، فنجحت عندها شركة الاتحاد في الذهاب إلى أميركا وبيع تنازل البحرين لشركة الخليج المكسيكية.

ومارس ابن سعود حقه في إلغاء الامتياز دون أن يتنازل عن مطالبة الشركة بـ 6000 جنيه استرليني المستحقة من عدم الوفاء بالإيجار، كما أنه وصل حالة قبول لاحتمالات عدم وجود نفط بأراضيه، وربما شعر بالارتياح لحد التفكير بأن بلاده قد سلمت من مخاطر الاستغلال الأوروبي.

في تلك الأثناء وجدت شركة الخليج نفسها، وبسبب مشاركتها في شركة النفط العراقية محرومة من امتلاك تنازل مستقل خارج خط متفق عليه، والذي استبعد في الحقيقة جزر البحرين، فلجأت، على طريق مواجهة هذه المشكلة إلى التخلي عن تنازلها لصالح شركة ستاندرد للنفط بكاليفورنيا، والتي أرسلت خبراؤها، على الفور، لفحص المنطقة، فجاءت

تقاريرهم في صالح إمكانيات وآفاق المنطقة، فأسست الحفريات الاختبارية لوجود النفط بنوعيات جيدة وكميات تجارية في 1930. فكان أن مضت الشركة بنشاط ملحوظ في تطوير التنازل، فأخذت البحرين في وقت وجيز مكانها بين دول النفط المهمة في العالم.

ورفعت هذه الحقيقة قضية الاحتمالات الأخرى ذات الأهمية، والبحرين بالطبع، من الناحية الجيولوجية جزء من شبه القارة السعودية، ولكن ابن سعود، والذي شعر بالضربة الأولى، أصبح حذرًا بإحساس مضاعف، فتطلب الأمر جهدًا خاصًا لتلطيف توجهه تجاه الاستغلال الأوروبي، وكان الأمر يتطلب مأساة من نوع خاص لتحقيق ذلك التلطيف. ومن عجب، أن المأساة قدمت نفسها في تلك الأثناء، فقد امتد سقوط الاقتصاد العالمي في 1929-1930 بقبضته في 1931 حيث انهار أداء الحج إلى مكة، والذي كان وقتها مصدر السعودية الاقتصادي الأساس، نسبة للانخفاض العالمي لأسعار المنتوجات الزراعية في المجتمعات الهندية والإندونيسية التي تشكل أكبر حصص الحجاج الزائرين لمكة.

كنت راكبًا في عربة الملك بمكة في أيام الحج في نيسان/إبريل 1931، فوجدته محبطًا، فسألته ما هي المشكلة، فقال لي وبمنتهى الصراحة، إن هذه الخزينة فارغة، وإنه لا يتصور كيف سيكون بوسع حكومته أن تجمع بين الطرفين في السنة القادمة، فعليها ديون تصل إلى 300,000 جنيه استرليني من مختلف الأشكال، ورصيدها تمّ

استهلاكه فيما انخفضت مواردها من الحج بنسبة 75 في المائة، والوضع في مجمله ومشهده محبط. وبما أني قد شهدت تطور البلاد بحرص لبعض الوقت، فقد غامرت بتقديم بعض النصح، وبعض النقد، أما النصح فقد قلت فيه إن على الحكومة أن تعلن قرارًا بتأجيل الدفع لكل ديون الدولة في الوقت الحالي، وبما أني أنا شخصيًّا من أصحاب الديون على الدولة، فقد وضعتني النصيحة في خانة محبي الغير والخير، فتمّ قبولها، وشرّفني الملك بإعداد تفاصيل اقتراح تأجيل دفع الديون مع وزير المالية. وبإمكاني استباق الأمور هنا بالقول إن نصوص تأجيل دفع الديون قد تمّ فحصها بإخلاص من الحكومة، وأن معظم الديون التي كانت بارزة وقتها، قد تمّ دفعها.

أما نقدي، فقد ألقيت به بمفردات رومانسية، فقلت: (أنت) جلالة الملك مثل رجل على قمة منجم من الذهب، يشكو من الفقر ولكنه لا يرغب في رؤية المنجم. فطلب مني أن أشرح، فقلت له إن بلاده وبكل الاحتمالات ملأى بالنفط والذهب، وإني لا أفهم اعتراضه على استغلاله إذا كان في حاجة ماسة.. قال: حسنًا يا فيلبي.. أؤكد لك أنه وإذا ما قدم لي أي أحد مليون جنيه الآن، فبوسعه الحصول على امتياز باستغلال كل ما هو متاح، فسألته إن كان يعني ذلك بالفعل، فأجاب مصرًّا بالتأكيد، فأجبت حينها بأن الأمور لن تكون بتلك الدرجة من السوء لأنه يستطيع الحصول على ما هو أكثر من المليون جنيه من موارده الطبيعية إذا عالج الأمر بطريقة

صحيحة. وأول شيء يجب عمله هو تأسيس الوجود المحتمل للموارد المتوقعة، ومضيت للقول: إذا كنت جادًّا في هذا الأمر، فأنا تعرفت على رجل، حدث أن كان بمصر في تلك اللحظة، والذي تاق إلى مصافحة معك أو إشراف على الأمور، وقد تكبد قبل خمسة أعوام كل الطريق من أميركا إلى جدة على أمل أن يقوم بذلك، ولكنك رفضت استقباله. والآن إذا وعدت بمقابلته إذا حضر، فأنا أضمن حضوره.

وإلى ذلك أبرقت للمستر تشارلس غرانز لزيارة جدة، ليقضي أسبوعًا ناقش خلاله شؤون السعودية مع الملك ووزرائه. وكناتج للضيافة الكريمة، قدم العرض كمهندس تعدين خبير في خدمة الحكومة السعودية لستة أشهر على نفقته الخاصة، ليكون طوع الحكومة في تقديم مسح البلاد، وكان أن طاف المهندس ك. س. ويتشيل ـ المهندس موضوع القضية ـ معظم أرجاء البلاد خلال شتاء 1931-1932 وأسس لوجود النفط في الظهران (المقابلة للبحرين) وللذهب في مهد الظبا في جبال الحجاز. وكان أن أذاع خلال عودته لأميركا المد الإيجابي لوجود النفط والذهب السعودية.

كان ذلك بداية لحقبة جديدة في التاريخ السعودي، وحدث أن دعيت إبان تواجدي في لندن في صيف 1932 من قبل المستر لوميس، نائب رئيس شركة كاليفورنيا ستاندرد للنفط لتناول غداء معه في الفندق الذي يسكنه، فأخبرني حينها، أنه بما أن شركته قد اكتشفت بالفعل النفط في البحرين وتدارست تقارير توتشيل عن المنطقة الشرقية

بالسعودية، فهي قلقة تجاه فرصة لافتتاح حقل جديد إذا كان للامتياز أن يضمن بشروط موضوعية، عارفًا بتوجيهات الملك تجاه مثل هذه الأمور، وحاجة الملك تجاه مثل هذه الأمور، وحاجته الملحة للمال. وكان باستطاعتي تقديم صورة متفائلة لمنظوره تجاه ضمان الامتياز إذا كانت شركته مستعدة للاعتراف ومواجهة احتياجات السعودية. وقد جادلت، بأن هذه لا بدّ وأن تكون قضية من أجل التعاون لصالح الطرفين وليست مجرد حالة للاستغلال، وركزت أو ضغطت، بصفة خاصة، على أن مسألة الدفع الكلي أو المادي لا بدّ أن يكون شرطًا مسبقًا ولازمًا وضمانة لمثل ذلك الامتياز، وكان أن وافق على كل ذلك من حيث المبدأ، فتعهدت بإجراء التحريات خلال عودتي إلى السعودية في تشرين الأول/أكتوبر القادم بشرط تسلمي تأكيدًا برغبة شركته في التماشي مع الأمر وفق هذه الخطوط.

وجدت لدى وصولي إلى جدة برقية من لوميس يؤكد فيها الإجراءات التي ناقشناها ويمنحني سلطة مناقشة الأمر مع الملك رسميًا، وكان أن أتاحت لي الفرصة، بعد ذلك بقليل، مناقشة الأمر مع الملك ووزير المالية، ووضعنا معًا منظومة من الشروط لتشكيل أساسيات المناقشات المتوقعة، وكانت الشروط المقترحة، والتي أبرقنا بها على التو إلى المستر لوميس، كما يلي:

1- دفع مجمل 100,000 جنيه استرليني (بالذهب) فور توقيع عقد الامتياز.

2- مدفوعات ملكية بقيمة أربعة شيلينج (بالذهب) عن كل طن من النفط يتمّ إنتاجه للسوق.

3- إيجار بالمتوسط كل عام لكل المناطق المستأجرة للشركة والتي ستكون حرة في المطالبة بأي مناطق والتي يمكن أن تكون بلا فائدة لها.

4- أن يكون كل مستخدمي الشركة من المواطنين الأميركيين في ما عدا العمال العرب (والذين توفرهم الحكومة السعودية على نفقة الشركة)، والموظفين الصغار في السلك الكتابي (والذين يتمّ تأهيلهم بقدر الممكن من قبل السعودية أو من الدول الإسلامية الأخرى، بشرط موافقة الحكومة السعودية).

5- أن يكفل للحكومة السعودية تقديم وتوفير كل المرافقين والحراس لمرافق الشركة، والأطراف العامة فيها على نفقة الشركة.

6- تدفع الشركة نفقات الجمارك العادية والضرائب الأخرى عن كل المخازن والأساس المستورد من قبلها للسعودية.

هذه كل النقاط الأكثر أهمية والتي فرضت كأساس للمفاوضات وقد أرسلتها إلى صديق لي، بشركة النفط الإنكليزية - البريطانية في حال رغبة الشركة في التنافس على التنازل، هذا بالإضافة إلى أني قد أبرقت بها المستر لوميس، وهو بالتأكيد أفضل الشروط بالنسبة للحكومة السعودية، واعتقادي أن أفضل طريق لتأمين ذلك، إنما يكون بالمنافسة.

وفي ضوء هذا الواقع، فقد وصل مستر ل. ن. هاملتون ممثل شركة بكاليفورنيا برفقة تويتشيل كمستشار فني إلى جدة في 15 شباط/فبراير، فيما ظهر على المسرح، بعد أسبوع، مستر س. لونجريج، ممثل شركة النفط العراقية، والتي كانت الشركة الإنكليزية ـ البريطانية للنفط قد مررت لها الكرة. وتزداد الأمور إثارة، فقد وصل بعد أيام قليلة الرائد فرانك هولميز لمناقشة الأمر نيابة عن الأطراف الأساسيين، وأعني اتحاد الشرق العام.

كان من الواضح، ومنذ البداية، أن الشركة الأميركية وحدها قد نوت أن تأخذ شروط الحكومة الأولية على محمل الجد، وأن تتمّ كتابتها على وجه السرعة، دون التكاليف، وكان أن تمّ تفويض ممثلها، أن يقدم في بداية المحادثات وحدها، دفع 5,000 جنيه استرليني مع توقيع الضمان، وفيما لم يستطع الرائد هولمز أن يقدم دفعة محددة على الإطلاق، فقد اقترح، وبصورة جادة بأن من مصلحة الحكومة القصوى تقسيم المنطقة (بقطاعات مناسبة) بين المتنافسين الثلاثة من دون أن تطالب بدفعيات مقدمًا في ضوء امتيازات متوقعة، أو تحت التوقع.

وفي الواقع، فقد قدم لي الرائد هولمز هذا الاقتراح في اليوم التالي لوصوله إلى جدة، فأخبرته بصراحة أن الحكومة لن تراود مثل هذا الافتراض لأنها في أمسّ الحاجة العاجلة لنقد حاضر. وحينما اعترض على مثل هذا، ذهبت إلى تذكيره بأن اتحاده لا يزال مدينًا للحكومة بحوالي 6,000 جنيه استرليني في ما يتعلق بالامتياز السابق والمنتهي، فأضاف، إن

الحكومة ربما تطالب بهذا المبلغ وعلى وجه السرعة في المفاوضات الحالية، فكان أن غادر هولمز جدة في اليوم التالي مباشرة حينما وجد باخرة صغيرة مغادرة إلى السويس، ليتجنب إثارة الموضوع، وبهذا انفردت شركة كاليفورنيا والشركة العراقية للنفط بالحقل.

في هذه الأثناء، كان الملك لا يزال في الرياض ولم يعد لمكة حتى 27 آذار/مارس، وحتى ومع هذا التوقيت، فقد شغله موضوع الحج وأبقاه بعيدًا عن جدة حتى منتصف أبريل (نيسان)، فقاد وزير المالية المفاوضات في هذه المرحلة، وبصورة أساسية مع الشركة الأميركية، رغم أنه كان يستقبل مستر لونجريج من وقت لآخر، فيما ظل الأخير يتلقى كل الدعم الممكن من المفوضية البريطانية. ومع ذلك، فقد ظلت أقوى ورقة في يد الشركة الأميركية في كونها شركة خاصة من دون أي مساندة رسمية، فكان أن وصلت الحكومة السعودية بحلول 22 نيسان/إبريل إلى حجر الأساس مع الأميركيين الذين قبلوا كل الشروط إلا تلك المتعلقة بمقدم الدفع، وقد عرضوا في مكانه 50,000 (ذهبًا). فوجّه وزير المالية الدعوة إلى لونجريج، بعد أن وجد نفس -أي وزير المالية- في موقف تفاوضي قوي، إلى تقديم مقترحات مضادة من دون أن يفشي له بطبيعة العرض الأميركي، رغم أنه أخبره بدءًا بأن عرض الـ 5,000 جنيه استرليني غير مقبول، فيما جاءني -أي لونجريج- طالبًا أن أخبره بصورة سرية بما عرضه الأميركيون، فلم يكن بوسعي، بالطبع، الإعلان بمعلومات

سرية كهذه، ولكني أخبرته، بالفعل، بأنه، وبما أن عرض الـ 5,000 تحت الخط الفاصل، فإن مبلغ 100,000 جنيه استرليني يمكن أن يضمن التنازل أو يفتح أبوابه. فقام بإبراق رؤسائه، فجاءه التفويض بأن يرفع المبلغ إلى 10,000 إذا كان ذلك ضروريًا، وكانت تلك أعلى دفعة يمكن أن يقدمها رغم الدعم النشط من المفوضية البريطانية، فيما لم يكن رؤساؤه في الصورة، بشكل جاد.

أصبح ذلك واضحًا للحكومة بحلول أوائل أيار/مايو. وفي 8 أيار/مايو حضرت اجتماعًا خاصًا لمجلس الشورى لتحديد القبول أو الرفض للعرض الأميركي، وتواصل الاجتماع لليومين التاليين، تمّ استعراض مسودة الامتياز خلالهما فقرة بفقرة، وبنقاش مستفيض، وتمّ ترك الأمر لوزير المالية لإيضاح نقاط محددة بالتشاور مع مستر هامليتون كانت قد تمت إثارتها في تلك المناقشات، وتحدد يوم 12 أيار/مايو لتحديد الموقف النهائي في الأمر. وحين جاء اليوم، نسي المجلس الهدف من اجتماعه فكرس كل الجلسة لنقاش حول حقوق وواجبات النساء، فتأجل الأمر إلى 16 أيار/مايو ليتمّ تفويض وزير المالية رسميًا من قبل الملك للانتهاء من موضوع العرض الأميركي والتوقيع على الوثيقة، ولكن التوقيع تمّ بالفعل يوم 18، وهو اليوم الذي غادرت فيه جدة عائدًا إلى إنكلترا. وكنت في اليوم السابق قد سجلت زيارة للوزير البريطاني للوداع، وحين أخبرته بما حدث في موضوع التنازل، ازدادت دهشته، وإن لم يبد صدمة خفيفة، فلا هو،

ولا سلطات الشركة العراقية للنفط اعتقدا للحظة أن الشركة الأميركية يمكن أن تعرض مبلغًا عاليًا يصل إلى 50,000 (ذهبًا) لمثل فضاءات هزيلة كهذه في اكتشاف النفط.

وعلى أية حال، فلم تمضِ شركة ستاندرد وقتًا طويلًا لتبدأ أعمالها في السعودية، فقد بدأت الأعمال الاستكشافية في أيلول/سبتمبر 1933، ولم يمض وقت طويل أيضًا حتى تأكدت فرضيات مستر تويتشيل بوجود النفط في الظهران، فبدأ الحفر مصحوبًا بنتائج مرضية جدًّا، ووصلت آبار الظهران بحلول 1939 إلى إنتاج النفط بكميات تجارية، فيما كشفت الحفريات الأخرى عن وجود النفط في مناطق أخرى، وضمنت شركة كلتورنيا في هذه الأثناء من الحكومة كل حقوق التطوير والتنمية في ما يخصّ حصة النصف السعودية في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت، حيث منح ضمان تنازل لشركة الكويت للنفط التي تشارك فيها الشركة الإنكليزية - الإيرانية وشركات المكسيك الخليجية بحصص متساوية، فيما شكلت قطر في الفترة نفسها هدف ضمان بإشراف من الحكومة البريطانية مع الشركة السابقة.

وعلى المجمل، فقد أثبتت الحفريات والاكتشافات في كل هذه المناطق وجود النفط بكميات تجارية قبل اندلاع هذه الحرب[1]، فلم يفقد الخبراء الأميركيون الجرأة في الإفصاح عن قناعتهم بأن هذه المنطقة العربية برمتها، تسجل التحدي،

(1) يقصد الحرب العالمية الثانية.

برهانها على امتلاك أكبر حقل للنفط في العالم القديم. وكان أن أصبحت موارد النفط في هذه المنطقة في الأيدي الأميركية بضمان تام، في ما عدا التنازلات للشركة البريطانية ـ الإيرانية بقطر، وحصة النصف التي تملكها في الكويت.

ولكن ظروف الحرب تدخلت أو أثرت بقوة في تطوير المنطقة، فأوقفت السلطات البريطانية، ولظروف متعلقة بالحرب، تصدير النفط من البحرين والسعودية على الكميات التي كانت تصدرها عام 1939، فيما أوقفت كليًّا عمليات التطوير في قطر والكويت، وكلاهما لم يكن قد بدأ الإنتاج في ذلك الوقت. في هذا الاتجاه كانت البحرين قد تطورت بصورة جيدة، ولكنها تأثرت قليلًا بالموقف البريطاني. أما السعودية، التي كان إنتاجها قد وصل لإنتاج البحرين في 1939، فيما تتأهب لتجاوزها في فترة قصيرة، فقد وجدت نفسها في موقف حرج في ما يخصّ تطوير صناعتها النفطية. وذلك يعني فقدانها لموارد قائمة ومنظورة كانت قد ضمنت بها مقدم الدفعات من شركة النفط، أضف لذلك تأثرها بتوقف قدوم الحجاج من وراء البحار، خاصة بعد دخول إيطاليا الحرب عام 1940.

ولحسن الحظ فقد قدمت الحكومة طلبات عاجلة على خلفية هذه المواقف للسلطات البريطانية التي وافقت على مواجهة الموقف بقروض مجانية في شكل مساعدات، ولا أعرف ما إذا كانت شركة كاليفورنيا قد وافقت على الاستمرار في دفع الدفعات مقدمًا بعد عام 1940 على خلفية الضمانات الملكية.

فأميركا لم تدخل الحرب إلا نهاية عام 1941، ولم تبد اهتمامًا بصورة كافية بالسعودية إلا عام 1943 لتبدأ في تقديم إمدادات شملت السيارات والمعدات العسكرية والمال (بصورة ملحوظة عملات نقدية من الفضة زادت على 300,000 جنيه استرليني مع نهاية 1943)، ومع ذلك، من المنطقي الافتراض، ورغم أن المساعدة الأميركية لم تكن ممكنة التحقيق، أن الحكومة البريطانية تحملت الجزء الأساس في تعويض العربية السعودية عن آثار الحرب، وقد قدمت إلى اليوم المساهمات التالية للخزينة السعودية.

1- 1940: 400,000 جنيه استرليني.
2- 1941: 800,000 جنيه استرليني.
3- 1942: 2,640,000 (منها 220,000 نقدًا والبعض في شكل مواد غذائية وعينية).
4- 1943: 2,640,000.
5- 1944: 500,000.

المجموع: 7,480,000.

من المهم وضع هذه الدفعيات في الذهن، لأنها مرجحة لأن تلعب دورًا كبيرًا في مفاوضات واشنطن المتعلقة بمستقبل تطوير وتوزيع النفط العربي.

وليس من الواضح الاعتقاد بأن للحكومة البريطانية أي مطالب تجاه إعادة السعودية دفع تلك المبالغ، ولكن من الواضح أن فيها معنى أخلاقيًا لجهة اعتبارات التعاطف لأي

مصلحة بريطانية معنية بالنشاطات الأميركية الأخيرة في ما يخصّ النفط السعودي.

وقد نبعت هذه النشاطات من عوامل متعددة. أولها، أن استبعاد إيطاليا من قوائم العداء والسيطرة الفاعلة للحلفاء على كل إنتاج للنفط، والحركة خارج الأراضي المحتلة للعدو، جعلت تحديد الدول الشرق أوسطية المنتجة للنفط أقل إلحاحًا تجاه حصص التصدير في فترة ما قبل الحرب. ثانيًا، إلى وقت استبعاد إيطاليا، كان على أميركا والدول الأميركية الأخرى أن تتحمل العبء الأكبر في توفير النفط اللازم للمجهود الحربي للحلفاء. فيما ساد الاعتقاد ـ خاطئًا كان أو مصيبًا ـ بأن موارد النفط في العالم الجديد تواجه الخطر أو النفاد خلال فترة محسوبة. ثالثًا ينبع من هذا الاعتبار السابق الذكر، أن على أميركا، ومن الطبيعي، أن تنظر للخارج من أجل موارد بكر وبديلة، من كلا وجهة النظر طويلة المدى أو من أجل رفع الضغط الحالي على الموارد الأميركية.

وربما يكون في هذا العامل الأخير الذي وقف وراء توجيه مصالح بريطانيا النفطية عنوة (بما في ذلك الحكومة البريطانية نفسها) لأن تتقمص روح المبارزة في الدفاع الذاتي انطلاقًا من نقطة ما بعد الحرب وسياسة المدى الطويل. ولم تقل مخاوف بريطانيا مع الحقيقة الماثلة بأن الأميركيين، مع احتكاراتهم النفطية في السعودية والبحرين، ونصف حصتهم في الكويت، وحصة الربع في شركة العراق للنفط، هم الآن

في وضع ينافسون به المصالح البريطانية في عقر وجودها الذي كان يومًا تحت السيطرة وبلا تحد.

والعامل الآخر، المثير للسخرية، هو أن الحكومة الأميركية، التي كانت يومًا غير آبهة بعمليات شركة النفط الأميركية بالخارج، أصبحت الآن تأخذ قصب السبق في تشجيع تطوير تلك الشركات لكل الموارد الممكنة، أي الحكومة الأميركية، في المشاركة في عمليات التمويل مثلما فعلت الحكومة البريطانية عام 1914، أو لتخفيف التكاليف عليها أو إعطائها كل الدعم الدبلوماسي الممكن.

وسواء كانت الشركات الأميركية راغبة أو مرحبة بمشاركة الحكومة أو تحكمها في النشاط الخارجي للشركات أم لا، وتلك نقطة محورية، فإن الحكومة الأميركية هي التي أخذت زمام المبادرة في الإشارات والنبوءات حول المشروع الشهير والقائم لخط الأنابيب من الخليج العربي إلى البحر الأبيض المتوسط بطول 1200 ميل، مثلما هم ممثلو الحكومة الأميركية المعتمدين الذين مهدوا وناقشوا المشروع مع الملك ابن سعود العام الماضي، ومن البديهي أن يكون الملك قد شجع مشروعًا مثل هذا يزيد من موارده المالية، بل إن هناك اقتراحًا بدفع عدة ملايين من الدولارات مقدمًا للحكومة السعودية حال التوقيع على الاتفاقية لبناء خط الأنابيب، ومن الممكن أخذ إجابة الملك للأميركيين في هذا المشهد كأمر مفروغ منه، مع وضع مسائل أخرى دقيقة في الاعتبار مثل ترتيبات الدفاع عن هذا الخط، ومن الترجيح الضعيف أن يقبل الملك بوجود

عسكري أميركي على أرضه لمثل هذا الهدف، ومن المحتمل أن يكون صحيحًا أن هذا الخط سيكون آمنًا بحماية عربية مطلقة إذا ما دفع المستفيدون تكاليفها. وهناك خط سكة حديد الحجاز القديم الذي تمّت حراسته بالقبائل، ولم تحدث فيه تدخلات مطلقًا، إلا حينما أخلّت الحكومة التركية بالتزاماتها تجاه القبائل. وعلى العموم، يمكننا الافتراض، وبقدر ما يتعلق الأمر بالملك، فسيكون المشروع تطورًا مرغوبًا، إذ لا يمكن تحقيق خط كهذا، بأية حال، من دون أن يمرّ عبر أراض مصرية تحت حماية بريطانية، وقد ينتج عن هذا ضرورة إعادة النظر في الوضع السياسي للدول المعنية، وربما تحويل الانتدابات بشكل ما، في السيطرة الدولية، ودعنا لا نقول شيئًا عن الاعتراف بالاستقلال التام (بالحقيقة وكما نظريًا) لمصر. ومن هنا، ومن مثل هذه الروابط سينبع المأزق العالمي الأساس. وهو هذا العامل، وبلا شك، الذي أتى بضرورة اعتبار المشاكل التي حدثت على المستوى العالي (الوزاري).

لا أستطيع تخمين الناتج الذي سيخرج من تلك المفاوضات، ولكن من الإنصاف القول إن الدول المستقلة وشبه المستقلة من بين الدول المنتجة للنفط في الشرق الأوسط (مثل العراق وإيران والسعودية... إلخ) سترحب بأي تدبير يضمن أية حراسة آمنة لاستقلالها بحساب تطوير مواردها النفطية للحد الأقصى. ولا يمكن تجاهل وجهة النظر هذه من قبل الأطراف المتفاوضة إذا كان لهم أن يضعوا سياسة وسيطرة وحصص مثل تلك التي لاحت قبل الحرب في ما يخص

الصفيح والمطاط. وأيًّا كان التدبير الذي سيتمّ الوصول إليه فمن غير المرجح أن يؤثر على إنتاج النفط في الحقول الجديدة، لأن من المحتمل أن يستغرق الأمر سنين لبناء خط الأنابيب السعودي المقترح وتوفير المعدات المطلوبة لتطوير حقل النفط السعودي لأي مدى يوائم طاقاته الكامنة. وبهذا، فنحن مواجهون خلال الحرب بما نسميه ضرورة مشكلة ما بعد الحرب بجذورها العميقة، وهي مشكلة ستهم الدول الأخرى وبصورة حيوية، أكثر من أميركا وبريطانيا.

ولذلك فمن المحتمل أن تكون غاية ما تحققه محادثات واشنطن جهة إنكليزية ـ أميركية تجاه كل قضايا النفط ذات الاهتمام المشترك، والتي بها تتمّ مواجهة بعض حلفائنا مثل روسيا وهولندا وفرنسا إلى مائدة مؤتمر السلام في المستقبل. ومن غير المحتمل أن يعلن عن الطبيعة المحددة والتعقيدات لأية اتفاقية يتمّ التوصل إليها ونحن في مفترق طرق هذه الحرب. ولذلك نتوقع أن نسمع في هذه الأثناء بأن إجماعًا كليًّا حول وجهات النظر بين الأطراف قد تمّ تحقيقه، فيما، قد نحصل بطريق غير مباشر، على إلماحة عن القرارات التي تمّ التوصل إليها وفقًا لنجاح أو فشل الحكومة الأميركية في استئناف محادثات خط الأنابيب المعلقة مع الملك ابن سعود.

سانت جون فيلبي
23 تموز/يوليو 1944

فهارس عامة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

أ

آمبر: 36.
إبراهيم (النبي): 53.
ابن حثلين، نايف: 76.
ابن سليمان، عبد الله: 64.
ابن عبد العزيز، سعود: 55.
ابن علي حسين: 10، 11.
ابن سعود فيصل: 23، 56، 57، 78، 90.
أبو الفتح، محمد: 76.
اسختون، ر.: 104.
إمري: 75.
ايور: 71، 72، 76، 80.

ب

باجالي: 38.
باسفيلد: 80.
براون، وليام: 104.
برايساك، شيرين: 11.
بريزر: 22.
بل، غيرترود: 10، 11.
بلشر: 99.
بون، إليزابيث: 13.
بوند: 78.
بيرد، ستونهيور: 90، 91، 93.
بيركنهيد: 75.
بيكيت، جون: 32، 35.

ت

تافستوك: 32.
تاونشيند: 22.
تشرشل: 75.
تويتشيل: 114، 117.

ج

جاكسون، إدوارد: 28.
جورج (الملك): 13.
جونسون، دورا: 9، 43.

جويس، وليام: 32.
جيبسون، ج.ب: 38.

ح

الحاج أمين: 63.
حافظ (الشيخ): 57.
الحجي، يحيى: 64.
حمزة، فؤاد: 28.

د

دالتون: 42، 43، 73، 77.
الدويش، فيصل: 55، 56، 75، 76، 78.
ديفس، ادموند: 106، 107.

ر

راغلان: 73.
ريتون، ر. ك.د: 99، 104.

س

ساتي، حسن: 13.
ستافورد.ج.و: 90، 100.
ستورز، رونالد: 73.
سمارت: 73.
سيليتو، بيرسي: 26.

ط

الطريفي، عادل: 13.

ع

العطاس، حسن بن سالم: 67.

غ

غرانز، تشارلس: 111.

ف

فايس، بروهاك: 76.
فولكيز. و.ج: 27.
فيلبي، كيم: 10، 12، 42.

ق

القرضاوي، أحمد ناصر: 64، 66.

ك

كادوجان، اليك: 98.
كلايتون، ج: 39.
كوبر، داف: 35.
كوكس، بيرسي: 106، 107.
كيرزون (لورد): 15، 23، 24.

ل

لورنس، ت.إ: 9، 15، 23، 26، 27.
لوكهارت، ج. ل: 100.
لوميس: 111، 112، 113.
لونجريج، س: 114، 115.
لويد.ج: 104.
ليديل، ج.م: 43، 96، 97.
لينوكس: 99.

م

ماكين، وليام جون: 16، 17، 25، 31.
ماير، كارل: 11.
محمد (النبي): 49، 50.
موريسون، هيربرت: 96.
مونتغمري، برنارد: 9.
مونرو، إليزابيث: 9، 13.
ميرتون: 76.
ميغريت، م: 56.

هـ

هاركر: 98.
هال، كورديل: 104.
هاملتون، ل.ن: 114، 116.
هتشنسون: 37.
هتلر: 72، 88.
هوبكنسون: 97.
هولميز، فرانك: 114، 115.
هيل: 99.

و

واسماس: 22.
وهبة، حافظ: 89.
ويتشيل، ك.س: 111.
ويلسون، أرنولد: 106.

ي

يونغ، ويلسون: 95، 96.

فهرس الأماكن

أ

آثار عبر: 12.

آسيا الوسطى: 23.

أثيوبيا: 20.

الأردن: 24، 25، 38، 41، 83، 84، 85.

إسبانيا: 49.

اسطنبول: 51.

ألمانيا: 34، 40، 89.

أميركا: 21، 37، 87، 92، 98، 104، 106، 108، 111، 119، 120، 123.

إنكلترا: 21، 32، 39، 40، 42، 46، 76، 97.

أوروبا: 54.

إيران: 22، 103، 104، 105، 122.

إيطاليا: 34، 73، 118، 120.

ب

بادولاس: 21.

باكستان: 10.

بباي راوث: 28، 29.

البحر الابيض المتوسط: 121.

البحر الأحمر: 11، 17، 18، 23.

البحرين: 92، 93، 105، 108، 109، 111، 118، 120.

برلين: 34.

بريطانيا: 12، 15، 17، 22، 24، 25، 31، 55، 59، 71، 72، 78، 79، 80، 85، 87، 88، 90، 91، 92، 93، 104، 105، 120، 123.

البصرة: 76.

بغداد: 10، 22، 24، 38.

بلاد فارس: 22.

بلجيكا: 74، 91.

البنغال: 21.

بورتسودان: 18.
بورما: 104.
بولندا: 40.
بومباي: 92.
بيروت: 12.
بيهان: 62، 66، 68.

ج

جازان: 67.
جافا: 63.
جامعة كمبريدج: 9، 21.
جبال الحجاز: 111.
جبل حراء: 19.
جدة: 11، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 25، 28، 38، 40، 55، 56، 57، 71، 74، 75، 78، 80، 88، 91، 92، 93، 97، 100، 111، 112، 114، 115.
جزر البحرين: 107.
جزر الهند الشرقية: 56.
الجوف: 65.

ح

الحبشة: 105.
الحجاز: 18، 25، 38، 56، 57، 60، 64، 74، 75، 77، 78، 80، 83، 84، 85.
حسا: 55.
حضرموت: 16، 39، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 68، 105.
حيفا: 83، 105.

خ

الخليج العربي: 11، 22، 23، 121.

د

دار سانت مارتن: 13.
دمشق: 26، 83.

ر

الربع الخالي: 12.
روسيا: 104، 123.
روما: 34، 49، 51.
رومانيا: 104.
الرياض: 12، 27، 38، 39، 55، 88، 91، 115.

س

سانت بول: 49.
سبأ: 16.

سجن بريكسون: 95.
سجن رامسياي ماكدونالد: 35.
سري لانكا: 9.
السعودية: 12، 15، 16، 18، 21، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 31، 32، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 59، 63، 65، 66، 71، 72، 73، 75، 77، 80، 81، 89، 91، 97، 98، 100، 101، 103، 104، 105، 106، 107، 109، 111، 112، 113، 115، 117، 118، 119، 120، 121، 122.
السودان: 105.
سوريا: 83، 84، 105.
السويس: 80، 115.
سيلون: 89.

ش

شاسوه: 64.
شبه الجزيرة العربية: 10، 11، 12، 41.
شبوة: 39، 60، 61، 64.
الشرق الأدنى: 10.
الشرق الأوسط: 9، 11، 13، 17، 85، 97، 105، 106، 122.
شهر: 61، 62.
شيبان: 60، 61.

ص

الصومال: 105.

ط

طارم: 61.
طرابلس: 105.
طهران: 22.

ظ

الظهران: 111، 117.

ع

عدن: 16، 39، 60، 61، 62، 66، 69.
العراق: 10، 11، 55، 56، 76، 77، 78، 79، 81، 103، 104، 105، 120، 122.
العقبة: 75.
عمان: 105.

ف

فرسان: 105.
فرنسا: 25، 55، 72، 73، 75، 91، 104، 123.
فلسطين: 11، 26، 27، 39، 73، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85.
فنزويلا: 104.
فولكستون: 35.

ق

القاهرة: 17، 51، 73.
قطر: 105، 117، 118.

ك

كاليفورنيا: 12، 108، 111، 114، 115، 118.
كراتشي: 38، 95.
كركوك: 105.
كلكتا: 21.
كلية ترينيتي: 9، 21.
الكويت: 57، 77، 79، 105، 117، 118، 120.

ل

لاهور: 10.
لبنان: 105.
لحج: 64.
لندن: 9، 11، 12، 23، 25، 57، 89، 92، 94.
ليفربول: 94.

م

مأرب: 65.
المتحف البريطاني: 10.
محمية عدن: 39، 60، 61، 62، 66، 67، 68.
محمية العوالق العليا: 60، 66.
مدرسة ويستمنستر: 9، 21.
المدينة المنورة: 85.
مرخة: 66.
مزدلفة: 50.
المسجد الحرام: 51، 57.
مصر: 42، 56، 76، 81، 104، 105، 122.
معان: 75، 84، 85.
مكة المكرمة: 10، 18، 23، 24، 25، 45، 46، 49، 50، 51، 55، 57، 59، 62، 109.
المكسيك: 104، 117.
المكلا: 59، 60، 61، 62.
المملكة المتحدة: 37، 38.

مهد الظبا: 111.
الموصل: 105.
ميس: 37.
ميناء الحجاج: 18.
ميناء العقير: 106، 107.

ن

نجد: 38، 76، 77، 78، 79.
نجران: 39، 60، 65، 66.

هـ

الهند: 10، 21، 22، 37، 41، 42، 81، 87، 92، 93، 97، 98، 104.
هولندا: 91، 104، 123.
هيث: 35.

و

واشنطن: 104، 105، 119، 123.
الولايات المتحدة الأميركية: 104.

ي

يافا: 56.
اليمن: 16، 59، 64، 65.

المترجم في سطور

- ولد حسن ساتي في منطقة العفاض بشمال السودان عام 1948.
- درس الفلسفة بكلية الآداب في جامعة القاهرة فرع الخرطوم، وكان قد تخرج قبل في كلية الصحة بجامعة الخرطوم.
- عمل في صحيفة «الأيام» بقسم المنوعات ثم رئيسًا للقسم السياسي. وفي العام 1977 تولّى منصب نائب رئيس التحرير لمدة سنتين قبل أن يصبح رئيسًا للتحرير ومجلس الإدارة.
- أبدى معارضته لما عُرف بـ«قوانين سبتمبر» الإسلامية التي أعلنها الرئيس السابق جعفر نميري فجرى عزله من منصبه، وتعرض للاعتقال بـ«عيد الانتفاضة» التي أطاحت بالنميري.
- بعد خروجه من المعتقل غادر إلى القاهرة معارضًا حيث كتب في عدة صحف مصرية، ثم غادر إلى السعودية ملتحقًا بصحيفة «المدينة» التي تصدر في جدة بمنصب نائب رئيس القسم السياسي ثم عمل نائبًا لرئيس التحرير.

- في منتصف التسعينيات غادر إلى العاصمة البريطانية حيث انضم إلى صحيفة «الشرق الأوسط». وفي العام 2007 عاد إلى السودان ليشارك في إصدار صحيفة «آخر لحظة» وتولى منصب رئيس مجلس إدارتها. وتوفي في تشرين الثاني/ نوفمبر 2008 عن 60 سنة.